

قافلة الزيت

ذو القعدة ١٣٩٥ - نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٥



تزخر مكتبات الجامعة بمختلف كتب العلوم الدينية والأدبية.
راجع مقال "الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة"

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

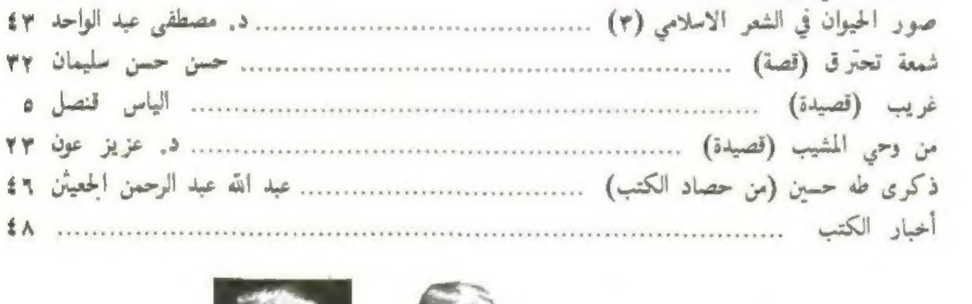
العدد الحادي عشر المجلد الثالث والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة - توزع مجاناً
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام: فيصل محمد البسام المدير المسؤول: عبدالله صالح جمعة
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي المحرر المساعد: عوني أبو كشك

محتويات العدد

بحوث ادبية









بحوث علمية





استطلاعات مصورة





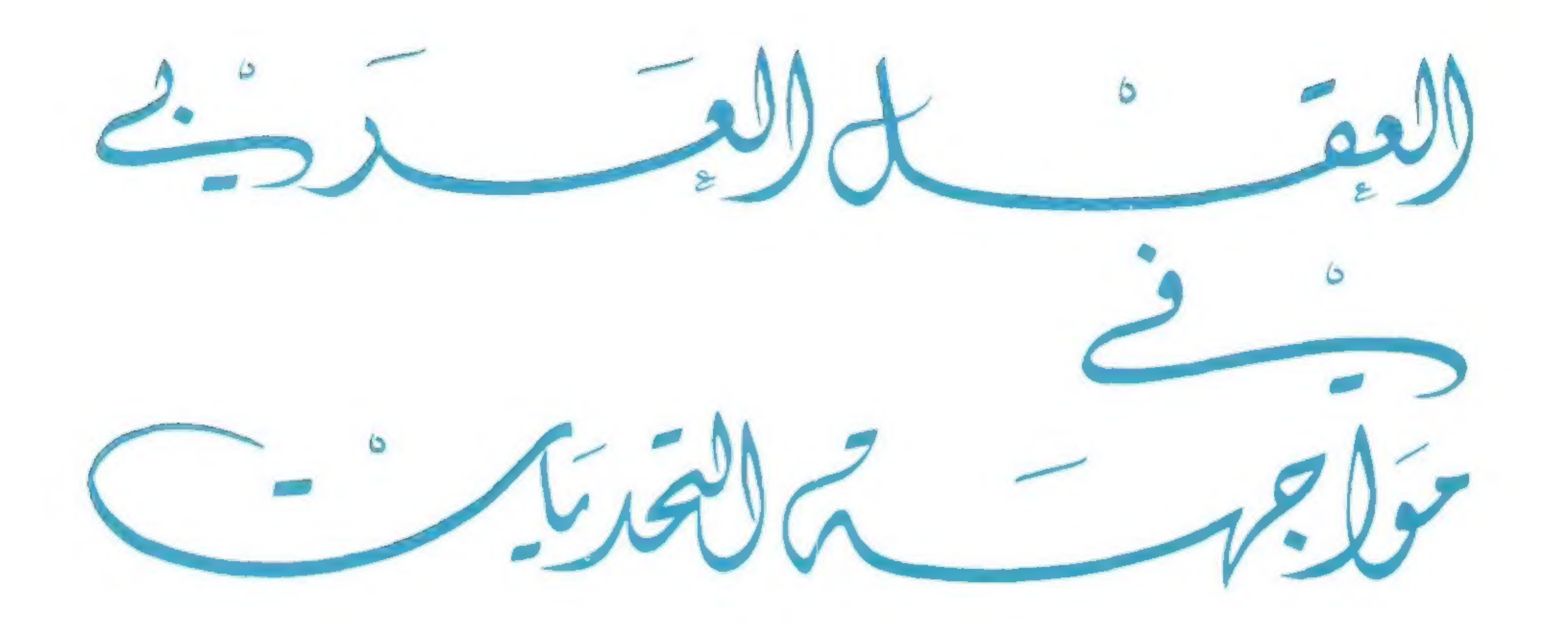
التعليق على صورة الغلاف

احدى غرف المراقبة الخاصة بتنظيم تدفق الزيت من ساحة الخزانات الى الناقلات في ميناء رأس تنورة البحري.

تصوير: برنت مودي

راجع مقال: شحن الزيت في ارامكو

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع – الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM



بقلم: الأستاذ محمد أحمد العرب

من التحديات الخطيرة التي يواجهها العقل العربي ، زعم الزاعمين بأن هذا العقل لم يستطع في أي طور من أطوار تاريخه الحاشد ان يحلق إلى أعلى من مستوى قامته ، بمعنى انه ظل في مواجهة التطور الهائل في كل منحى من مناحي الابداع والفكر يعيش على مسطّح التناول الهش للأشياء والمفاهيم . أي أنه ظل يتناول الانجازات العلمية والفنية على السواء بمنطق البداهة الساذجة وليس بمنطق التأصيل الحضاري كما كان ينبغي له أن يكون . ويزعم هؤلاء الزاعمون بأن هذا العقل العربي يتّسم على مدى تاريخه كله إما بالنظرة الجزئية المبتورة الشائهة التي لا تحيط بالقضية — او الموضوع — فتبقى هذه القضية ضائعة بلا تحديد لملامحها الصميمية ، واما بالنظرة الكلية الفضفاضة الغائمة التي تغرق القضية أو الموضوع في متاهة التعميم فلا تظفر هذه القضية باحتلال موقعها الحقيقي من خريطة التحدد او خريطة الانتماء ! !

ويستطيع العقل العربي ان يدرأ عن نفسه هذه المطاعن بنوع من الاحالة على تاريخه الفذ ، أو قل على مغامراته البكر في مناطق الابداع والفكر ، بدءاً من الحركة الشعرية المبدعة ، وانتهاء إلى الحركة العلمانية المعقدة ، ومروراً بحركات ثرية أخرى في مجالات السياسة ، والتربية ، والاجتماع ، والفلسفة ، وأصول الفقه ، وغير ذلك مما لا نستطيع الايماء الخاطف اليه هكذا . مضافاً إلى ذلك كله قابلية هذا العقل العربي — على مر العصور — للانفتاح على غيره بلا حدود ، مهاجراً أبداً في المسافات المضيئة التي توثر وتتأثر . تعطي وتأخذ ، تلهم وتستلهم بلا خضوع مسبق لعقد النقص التي تشل كل ارادات العقول . . يستطيع العقل العربي اذن ان يدرأ عن نفسه هذه المطاعن بهذا النوع من الاحالة على تاريخه الفذ في مناحي شتى من حركة الاستيعاب والمنح ، وهو حينما يفعل ذلك انما يأخذ بمنطق مبرر تماماً بما هو مقاتل بنفس النوع من السلاح الذي يهاجم به . . . ولكنه مع كل ذلك — من خلال هذه الرحلة — لن يلجأ إلى هذا الأسلوب التجريدي البحت في الاحالة على تراث كامل بلا تخوم ، وإنما سيلجأ إلى نوع محدد من التدليل « المادي » — اذا شئنا — على مدى اكتنازه الذاتي بمقولات

الابداع والفكر ، هذا النوع من المقولات التي يمكن ان يقال انها مقولات « رياضية » من فرط ما تستقطب من موضوعية علمية ، وتحديد منطقي ، واستيعاب فكري وذوقي لكافة جوانب المصطلح ، توقلا إلى قمة المعرفة . واستهدافاً لبصيرة الأشياء ! !

التحديد هنا يوشك ان يكون معجزاً بحق . فأي ثمرات

ولكن هذا العقل العربي الرائع والمتهم نستطيع ان نضعه على مائدة الحوار ؟ ان كل الثمار تعطي اغراء جارفاً بلا حدود ، بما هي نوعية فذة لا تشاكل غيرها ابداً . وان كانت في نفس اللحظة لا تشكل نقيضها بالضرورة . ان الاختيار الصعب محنة المغامر على طريق التحدي . ولكنه قدره . بلا فرار .

ليكن كتاب « التعريفات . . لعلي بن محمد الشريف الجرجاني » اذن هو مناط الحركة في دفع هذا التحدي اللامبرر على الاطلاق . فربما استطاع العقل العربي من خلاله ان يثبت براءته ، وأن يعطي وجهه الحقيقي . وأن يقول كلمته الحاسمة في هذا الجدل الدائخ على هامش كل المحاور . دون محاولة حقيقية للدخول في مناطق الفعل الحقيقي . أعني في مناطق الابداع الفني والفكري لهذا العقل العربي المتهم بلا جريمة . . و بلا دفاع ! ! ! واذا استطاع كتاب « التعريفات » أن يبطل التهمة . وأن يعطي صوته لتاريخ الدفاع . فليس ذلك لأن كتاب « التعريفات » هو أروع ما أبدعت الذهنية العربية . أو حتى من أروع ما أبدعت الذهنية العربية . فالكتاب ليس نمطاً في البحث غير قابل للتكرار أو المماثلة . وهو ليس جهداً مكرساً لواحد من أعلام هذا التاريخ العربي الطافح بآحاد العبقريين . وإنما هو كما يقول مؤلفه في تصديره له : « وبعد . . فهذه تعريفات جمعتها . واصطلاحات أخذتها من كتب القوم . ورتبتها على حروف الهجاء من الألف والباء إلى الياء . تسهيلاً تناولها للطالبين . وتيسيراً تعاطيها للراغبين » فالكتاب اذن واحد من الكتب التي نستطيع ان نعثر على عشرات مماثلة له في ارفف المكتبة العربية . أو في أطباق الظلام والغبار حيث تربض عشرات مماثلة له في انتظار الفارس الذي يخرج بها من عالم المخطوط إلى عالم المطبوع . . الشيء الذي يؤكد خصوبة الذهنية العربية وشيوع الفكر العبقري في مؤلفات أرتال هائلة من حملة القلم العربي العظام .

ولنستعرض الآن نماذج من « تعريفات » هذا العقل العربي المتهم ، لخليط من المقولات والأشياء على السواء ، لنرى هل استطاع هذا العقل ان يجسد الحقائق ، وأن يحدد المفاهيم ، وأن يؤطر للمقولات السائبة ؟ ام انه — كما يقولون — قد أغرق في القصور الشائه تارة ، وفي التعميم المخجل تارة ثانية ، وفي ضبابيات ما يمكن ان نطلق عليه مصطلح : « المابين » تارة أخرى ؟

نقرأ في « التعريفات » هذا التحديد العلمي لمصطلح كالابداع : « الابداع والابتداع ايجاد شيء غير مسبوق بمادة ولا زمان كالعقول وهو يقابل التكوين لكونه مسبوقاً بالمادة ، والأحداث لكونه مسبوقاً بالزمان ، والتقابل بينهما تقابل بالتضاد ان كانا وجوديين بأن يكون الابداع عبارة عن الخلو عن المسبوقية بمادة ، والتكوين عبارة عن المسبوقية بمادة . ويكون بينهما تقابل الايجاب والسلب ان كان احدهما وجودياً والآخر عدمياً . ويعرف هذا من تعريف المتقابلين » .

الابداع ايجاد الشيء من لا شيء ، وقيل الابداع تأسيس الشيء عن الشيء ، والخلق ايجاد شيء من شيء ، قال الله تعالى : « **بديع السموات والأرض** » وقال : « **خلق الانسان** » والابداع أعم من الخلق ولذا قال : « **بديع السموات والأرض** » وقال « **خلق الانسان** » ولم يقل « بديع الانسان » والابداع أعم من الخلق ، ولذا قال : « **بديع السموات والأرض** » وقال : « **خلق الانسان** » ولم يقل : « بديع الانسان » .

ونقرأ في « التعريفات » هذا التحديد الرائع لمصطلح كالاتحاد على مستوى لغوي ، وفني ، وفلسفي : « الاتحاد هو تصيير الذاتين واحدة . ولا يكون الا في العدد من الاثنين فصاعداً . . . والاتحاد في الجنس يسمى مجانسة . وفي النوع مماثلة . وفي الخاصة مشاكلة ، وفي الكيف مشابهة ، وفي الكم مساواة ، وفي الأطراف مطابقة ، وفي الاضافة مناسبة ، وفي موضوع الأجزاء موازنة . . . والاتحاد هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل موجود بالحق فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه لا من حيث ان له وجوداً خاصاً اتحد به . فانه محال » .

ونقرأ في « التعريفات » هذا التحديد المادي والمعنوي لمصطلح كالاحساس : « الاحساس ادراك الشيء باحدى الحواس . فان كان الاحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات . وان كان للحس الباطن فهو الوجدانيات » .

ونقرأ في « التعريفات » هذا التحديد لمصطلح كالازل ، بدءاً بالتعريف الكلي ، وانتهاء إلى تقسيم منطقي ينفي ما لايخضع بالضرورة لحتمية التقسيم : « الأزل . استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي . كما ان الابد استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل . .

الازلي ما لا يكون مسبوقاً بالعدم . أعلم ان الموجود اقسام ثلاثة لا رابع لها ، فانه اما ازلي ابدي وهو الله سبحانه وتعالى ، او لا أزلي ولا أبدي وهو الدنيا ، أو ابدي غير أزلي وهو الآخرة . وعكسه محال ، فان ما يثبت قدمه امتنع عدمه .

الأزلي الذي لم يكن ليس ، والذي لم يكن ليس لا علة له في الوجود »

ونقرأ في « التعريفات » هذا التحديد الرياضي المعجز بحق لمصطلح كالاستدارة : « الاستدارة » كون السطح بحيث يحيط به خط واحد . ويفرض في داخله نقطة تتساوى جميع الخطوط المستقيمة الخارجة منها اليه .

ونقرأ في التعريفات هذا التحديد الشامخ لمصطلح كالالهية : « الالهية . . وهي أحدية جمع جميع الحقائق الوجودية ، كما ان آدم عليه السلام احدية جمع جميع الصور البشرية ، اذ للاحدية الجمعية الكمالية مرتبتان احديهما قبل التفصيل لكون كل كثرة مسبوقة بواحد

هي فيه بالقوة هو ، وتذكر قوله تعالى : « **واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم** » فانه لسان من ألسنة شهود المفصل في المجمل مفصلاً ليس كشهود العالم من الخلق في النواة الواحدة النخيل الكامنة فية بالقوة فانه شهود المفصل في المجمل مجملاً لا مفصلاً . وشهود المفصل في المجمل مفصلاً يختص بالحق وبمن جاء الحق ان يشهده من الكمل وهو خاتم الانبياء وخاتم الأولياء »

ونقرأ في « التعريفات » هذا التحديد الفلسفي لمصطلح كالأنية :

« الأنية . . تحقق الوجود العيني من حيث رتبته الذاتية » .

ونقرأ في « التعريفات » هذا التحديد العلمي لمصطلح كالاين :

« الاين . . هو حالة تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان » .

وأخيراً نقرأ في « التعريفات » هذا التحديد لمصطلح كالبرهان . كخطوة على طريق تحديد التعاريف المحددة . فبديهي ان البرهان واحد من وسائلنا إلى الحكم على الأشياء ، وتحديد هذه الوسائل المحددة ضمان رائع من غير شك لصوابية ما نحتقب في النهاية من نتائج كل المقدمات . . . يقول صاحب التعريفات : « البرهان . هو القياس المؤلف من اليقينيات سواء كانت ابتداء وهي الضروريات او بواسطة وهي النظريات . والحد الأوسط فيه لا بد أن يكون علة لنسبة الأكبر إلى الأصغر فان كان مع ذلك علة لوجود النسبة في الخارج أيضاً فهو برهان لمي كقولنا : هذا متعفن الاخلاط وكل متعفن الاخلاط محموم فهذا محموم . فتعفن الاخلاط كما انه علة لثبوت الحمى في الذهن كذلك علة لثبوت الحمى في الخارج . وان لم يكن كذلك بل لا يكون علة للنسبة الا في الذهن فهو برهان انّي كقولنا هذا محموم وكل محموم متعفن الاخلاط فهذا متعفن الاخلاط فالحمى وان كانت علة لثبوت تعفن الاخلاط في الذهن الا انها ليست علة له في الخارج بل الأمر بالعكس .

هذه قطوف ضامرة من حشد ما يستقطبه كتاب « التعريفات » من فكر مثقف . وبصيرة نافذة . وادراك شمولي رائع بلا حدود ... وهي قطوف تتسم بملامح من الخير ان نحددها فيما يلي :

اولاً : يستبين في التعريفات مدى الحرص الأكيد على ذكر الفروق الدقيقة بين التعاريف والمصطلحات ، حتى لا يختلط شيء بشيء ، أو يتوارى شيء في ظلال شيء . نرى ذلك واضحاً في محاولة التفريق الدقيق الحاسم بين مصطلحات كالابداع . والتكوين ، والاحداث . كما نراه في تعريف مصطلح كالاتحاد حين يصير في الجنس شيئاً غيره في النوع او في الخاصة او في الكيف إلى آخر ما هناك .

ثانياً : تتسم التعريفات على مدى الكتاب كله بمنطق الشمول والعمق ومحاولة الاستقصاء إلى أبعد الآماد ، نرى ذلك في تعريف مصطلح كالالهية . ان منطق العمق الفلسفي يتعانق مع منطق الاستبصار الكوني في تحديد نوعية المفهوم غير تارك للحدس الذهني مزيداً من انتظار المزيد .

ثالثاً : يكرس المؤلف في عناد رائع فكرة البدء بالتعريف الكلي للمصطلح ، ثم يشرع في تفريعات محددة على هذا التعريف الكلي بلا اخلاد للجمود . نرى ذلك في تعريف مصطلح كالازل ، حيث بدأ التعريف بالحكم الكلي الجامع المانع كما يقول المناطقة ، ثم تدرج بعد ذلك في تفريعات على هذا الأصل الصميمي .

رابعاً : تستوعب التعريفات إلى حد بعيد كافة مستويات الفكر والفن . فتحدد المصطلح من منظور متعدد الزوايا والاضلاع ، منطقياً ، ولغوياً ، وفلسفياً ، وبلاغياً ، وأصولياً ، وعلمياً . . . نرى ذلك في تعريف مصطلح كالاتحاد ، أو مصطلح كالاحساس ، أو مصطلح كالبرهان ، أو مصطلح كالاستدارة ، فان حس الاستقصاء المذهبي يلوح في تعاريفها جميعاً .

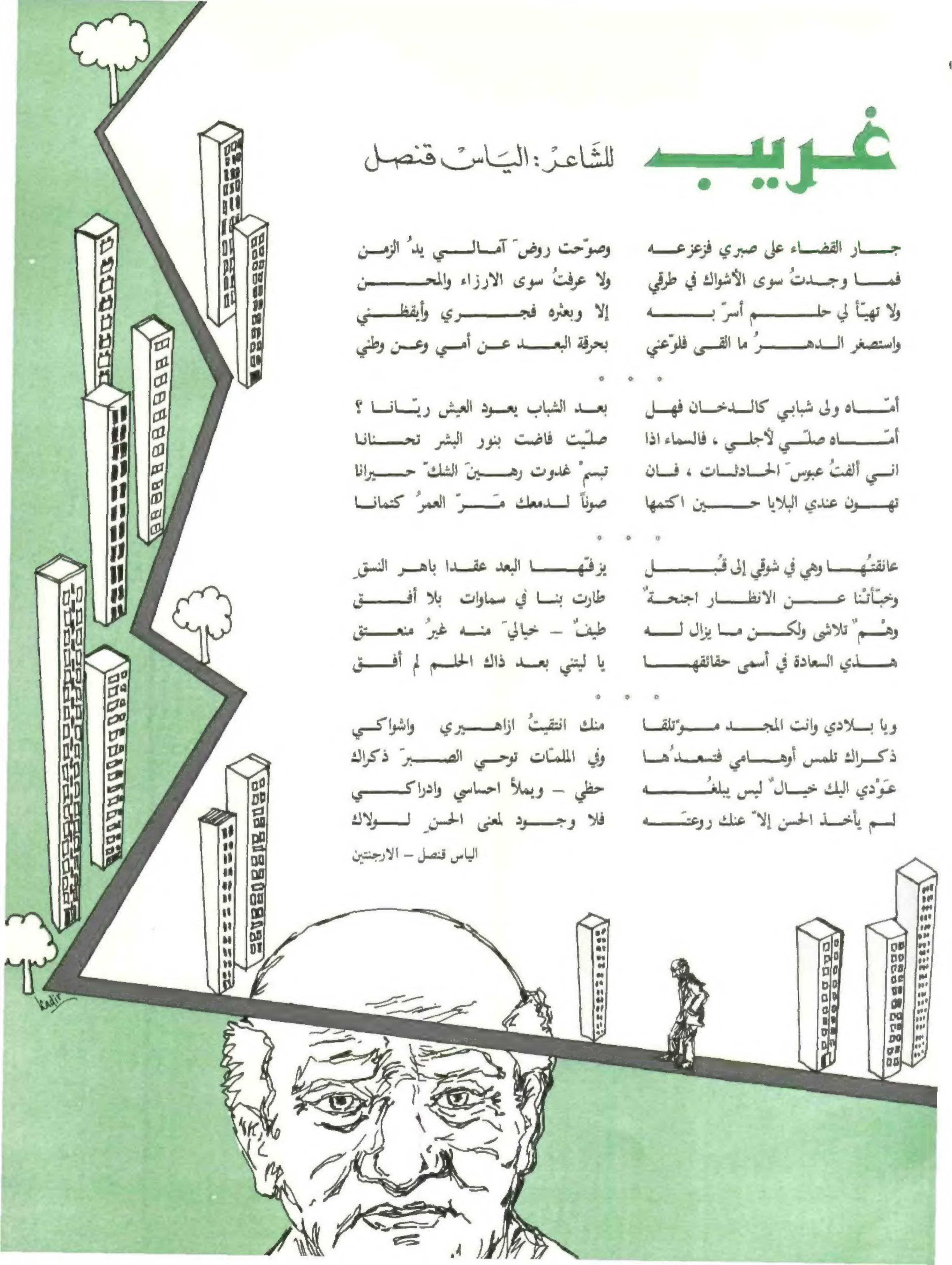
خامساً : تتكامل التعريفات على مدى الكتاب كله في شكل منهجي ، بحيث يستشعر المتلقي منطق التدرج في تناول التعريف من مستوى إلى مستوى آخر ، دون جلبة ، أو تعالم ، او ادعاء . . . نرى ذلك في خريطة الواقع العلمي على امتداد كل صفحات الكتاب غير متخلف في موطن من المواطن . ان يقظة جارفة لمسار المنهج تتوامض في شرايين كل السطور .

هذه فيما يخيل إلي أبرز ملامح هذا العمل العلمي المغامر الطموح ، الذي يثبت للعقل العربي ليس أصالته وجدارته فحسب . وانما صميمية وجوده في الوجود الحضاري اولاً وقبل كل شيء . فجانب من حركة التطور التكني في عالم اليوم يرجع بالضرورة في جذوره الغائرة إلى حركة العقل العربي في عصور سطوعه الأولى ، وهذه قضية تؤكد استطاعة هذا العقل . ان هو أصر على استعادة مواقعه . ان ينهض من جديد حاملاً رفشه ومكتله . هادماً وبانياً في كل شيء . مؤكداً دوره الطليعي على ظهر البسيطة .

ان الاتهام الفاجع يتهاوى ضباباً ثم لا شيء . ربما لأن كتاباً « كالتعريفات » لعلي بن محمد الشريف الجرجاني لا يمثل ظاهرة فريدة في تاريخ العقلية العربية . فهو ليس من تأليف صاحبه كما قال في تصديره للكتاب . وانما هو نتاج العقل العربي في نمطه الجمعي . فلاسفته ، وعلمائه ، وفنانيه ، ومفكريه ، فليس يستطيع التاريخ كله ان يدين عقلاً هذا وجهه وهذه ابداعاته . ان منطق الاتهام بالعجز عن صوغ مصطلح عربي او نظرية عربية يبدو الآن منطقاً معتسفاً طرائق الظلام . فكل حركة لكل حرف من حروف هذا المنطق « التعريفي » الذي أبدعه العقل العربي تحبط منطق العجز . وتجهر بمنطق الابداع . وتستوى في النهاية خلقاً متكامل الاتساق . يعطي ولا يرفض الأخذ . يؤثر ولا يستعصم من حركة التأثر ، يؤمن على البداهة بأن الفكر هواء العالم وماؤه وبأن المغامرة المثقفة شيء ، والانتحار من قمة الجبل شيء مخالف تماماً .

ان حركة إحياء يجب ان يعبأ لها ، ارهاصاً بمولد جديد لهذا البازغ المتألق — العقل العربي — فان مكانه الشاغر في حركة التاريخ يوشك صوته ان يبحّ ، هاتفاً به ان يعود ●

محمد أحمد العزب — القاهرة



غريب

للشاعر: الياس قنصل

جار القضاء على صبري فزعزعه   وصوّحت روضَ آمالي يدُ الزمن
فما وجدتُ سوى الأشواك في طرقي   ولا عرفتُ سوى الارزاء والمحن
ولا تهيّأ لي حلم أسرّ به   إلا وبعثره فجري وأيقظني
واستصغر الدهرُ ما القى فلوّعني   بحرقة البعد عن أمي وعن وطني

° ° °

أمّاه ولى شبابي كالدخان فهل   بعد الشباب يعود العيش ريّانا ؟
أمّاه صلّي لأجلي ، فالسماء اذا   صلّيت فاضت بنور البشر تحنانا
اني ألفتُ عبوسَ الحادثات ، فان   تبسمْ غدوت رهينَ الشكّ حيرانا
تهون عندي البلايا حين اكتمها   صوناً لدمعك مَرّ العمرُ كتمانا

° ° °

عانقتُها وهي في شوقي إلى قُبل   يزفّها البعد عقدا باهر النسقِ
وخبّأتْنا عن الأنظار اجنحةٌ   طارت بنا في سماوات بلا أفق
وهْمٌ تلاشى ولكن ما يزال له   طيفٌ – خياليَ منه غيرُ منعتق
هذي السعادة في أسمى حقائقها   يا ليتني بعد ذاك الحلم لم أفق

° ° °

ويا بلادي وانت المجد مؤتلقا   منك انتقيتُ ازاهيري واشواكي
ذكراك تلمس أوهامي فتسعدُها   وفي الملمّات توحي الصبرَ ذكراك
عَوْدي اليك خيالٌ ليس يبلغُه   حظي – ويملأ احساسي وادراكي
لم يأخذ الحسن إلاّ عنك روعتَه   فلا وجود لمعنى الحسنِ لولاك

الياس قنصل – الارجنتين

الجامعة الاسلاميّة في المدينة المنوّرة



في مهبط الوحي وعاصمة الاسلام الأولى صرح علمي شامخ ، ومنارة سامقة يغمر ضياؤها الساطع أرجاء المعمورة بنور الهدى ودين الحق . دوحة باسقة يتفيأ ظلالها الوارفة أبناء المسلمين من كل مكان، يغترفون من مناهلها العذبة الثقافة الدّينية الخالصة المستمدة من كتاب الله عزّ وجل وسنة نبيّه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . تلك هي الجامعة الاسلامية بالمدينة المنوّرة ، التي ترعاها حكومة المملكة العربية السّعودية وتغدق عليها وتمهد لها جميع السّبل لتمكينها من أداء رسالتها الاسلاميّة على خير وجه .



المسجد النبوي الشريف كان بمثابة الجامعة الاسلامية
الأولى التي تخرج منها كبار الأئمة والعلماء والفقهاء ،
ولا تزال تعقد فيه حلقات الدرس .

لقد كان تأسيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، معهد العلوم الاسلامية ، منذ اربعة عشر عاماً ، خطوة مباركة وعملاً جليلاً تنفذه حكومة المملكة العربية السعودية ، انطلاقاً من ايمانها الراسخ بنشر دعوة الحق وخدمة المسلمين وجمع كلمتهم على شريعة الاسلام السمحة ومبادئه السامية . فلا غرو أن تقوم هذه الجامعة الحديثة لترسم خطى مدرسة الرسول الأعظم في المسجد النبوي الشريف ، الجامعة الاسلامية الأولى ، والتي تخرج منها كبار الأئمة والعلماء والفقهاء والدعاة والمفكرين . فبرزت إلى حيز الوجود في عام ١٣٨١هـ ، وبدأت الدراسة فيها في اليوم الثاني من شهر جمادى الثانية ١٣٨١هـ . واستقبلت في عامها الدراسي الأول ٢٥٦ طالباً من مختلف انحاء العالم الاسلامي .

ومنذ ذلك الحين راحت الجامعة بفضل جهود القائمين عليها واخلاصهم وتفانيهم تعمل على تثبيت دعائمها ، وتوطيد مكانتها العلمية ، لتحقيق الآمال الكبيرة المعلقة عليها والأهداف النبيلة التي وجدت من أجلها . ولم يمض على تأسيسها سنوات قليلة حتى تبلورت اهدافها وغدت تتمتع بمركز علمي مرموق ، أخذت آثاره تتبدى جلية في ارجاء العالم الاسلامي . فقد زارها جلالة الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز ، تغمده الله برحمته ، في شهر ذي القعدة عام ١٣٨٤ وسر بما حققته الجامعة في فترة قصيرة من عمرها فقال : « ليس غريباً أن ارى وأسمع وألمس في هذه الجامعة ما يثلج الصدور ويبهج الخاطر من انطلاقة اسلامية كبرى أرجو لها النجاح وارجو ان تؤتي ثمارها في اقطار العالم الاسلامي لخدمة هذه الدعوة المباركة والنهوض بها والسعي إلى نشرها بين أبناء الملة الاسلامية والدعوة اليها بين ابناء الملل الأخرى . وانني لأرجو لها نجاحاً باهراً ما دامت ترتكز على مثل هذه السواعد ومثل هذه الروح الوثابة المنطلقة بحول الله لنشر هذا الدين والدعوة اليه والجهاد في سبيله » .

والجامعة الاسلامية اذ تواصل مسيرتها المباركة تلقى من لدن صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز بصفته الرئيس الأعلى للجامعة وولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ، كل عون وتأييد ، لتمكينها من تحقيق أهدافها الخيرة ، هذه الأهداف التي لخصها سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز رئيس الجامعة الاسلامية بقوله : ان المدينة المنورة التي تهفو اليها قلوب المسلمين وتصبو لزيارتها نفوسهم هي أولى الأمكنه والبقاع بأن يقصدها المسلمون من كل بلد يقطنه مسلم ، لكي يتفقهوا في الدين ويتضلعوا في العلوم الاسلامية الصحيحة ، ثم يعودوا بما حملوه من نور وما استفادوه من هدى إلى بلادهم وقومهم مبشرين ومنذرين هادين مهتدين عملاً بقوله تعالى : « **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** » .

وتتلخص أهداف الجامعة في تثقيف أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين في سائر أنحاء العالم ثقافة اسلامية صافية نقية على كافة مستويات التعليم ، تمكنهم من فهم الدين الاسلامي فهماً صحيحاً كاملاً ، كما فهمه السلف الصالح والرعيل الأول من المسلمين ، مع دراسة المذاهب الاجتماعية المنحرفة الحاضرة ،

بعض طلاب الجامعة الاسلامية من جنسيات مختلفة تجمعهم الألفة والمحبة وهم يستذكرون دروسهم .



واظهار فضل الدين الاسلامي الحنيف عليها ، حتى يتمكنوا من أن يفهموا قومهم من المسلمين ما عرفوه وتعلموه ، ويتمكنوا أيضاً من شرح حقيقة الدين الاسلامي الحنيف لغير المسلمين من أصحاب الملل والنحل الأخرى ، وليقوموا بشرح محاسن الاسلام وتنقيته مما نسب اليه من الخرافات والضلالات وما ألصق به من الأكاذيب والبدع التي روجها اعداوه والجاهلون به ، وبالتالي حتى يكون ذلك وسيلة من وسائل تبصير المسلمين بدينهم وادخال غير المسلمين في الاسلام عملاً بقوله تعالى : **« قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني »** .

موقع الجامعة الاسلامية

اختير موقع الجامعة في أحسن بقعة حول المدينة المنورة من حيث نقاء الهواء وطيب التربة ، في موضع يقع قرب العرصة الصغرى في وادي العقيق المشهور ، الذي تغنى به الشعراء قديماً وحديثاً ، فهذا أحد الشعراء القدامى يقول :

القصـــر فالنخـــل فالجمـــاء بينهما
أشهى عـلى القلب من أبواب جيرون

ويقصد الشاعر بالجماء جبال الجماوات الوردية اللـــون التي تحف بالوادي من الغرب .

أما جيرون فهي دمشق . وهذه اعرابية من سكان العقيق زوجت وحملت إلى نجد تحن إلى تلك الربوع الجميلة فتقول :

اذا الريح من نحو العقيــق تنسمت
تجدّد لي شــوق يضاعف من وجدي
اذا رحلوا بي نحو نجــد وأهلــه
فحسبي من الدنيا رجوعي الى نجدي

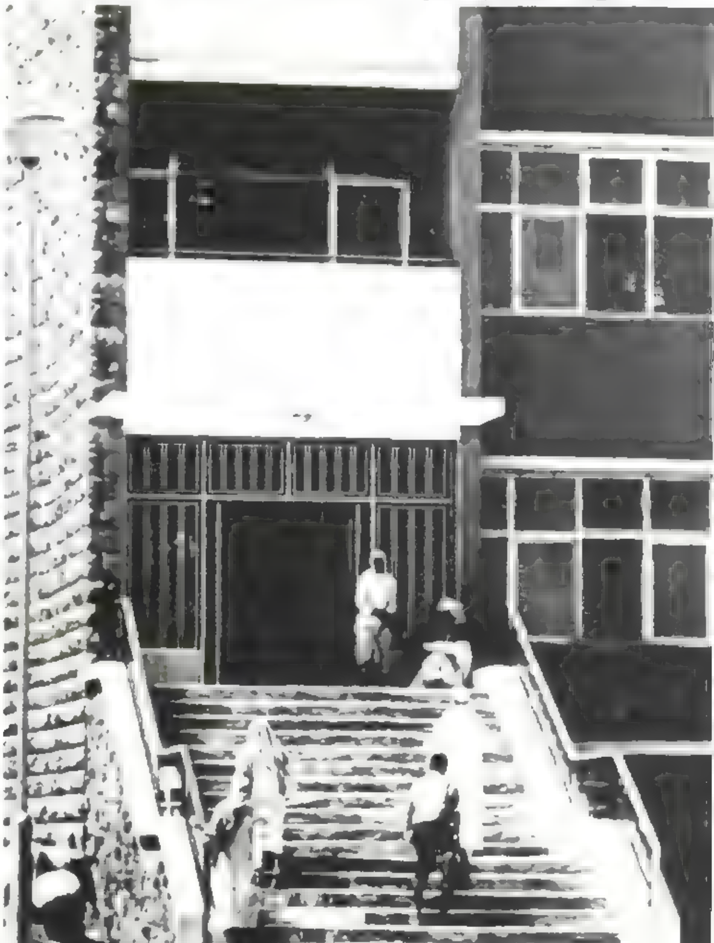
وقد روي عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قوله : « أتاني الليلة آت فقال : صل في هذا الوادي المبارك » . وكانت هذه البقعة في عهد بني أمية عامرة بالحدائق الغناء والقصور البديعة والمياه المتدفقة من العيون والآبار ، بيد أن يد الحدثان لم تلبث ان عبثت بها فأقفرت ، ولم تعد اليها نضارتها إلا منذ فترة وجيزة عندما أخذ العمران يزحف اليها ، وبذلك أصبحت من أجمل ضواحي المدينة المنورة . وتبعد الجامعة عن المسجد النبوي الشريف نحو خمسة كيلومترات وتربطها به طريق سلطانة . هذا وقد جرى موخراً تحويل الجامة الاسلامية الى موسسة عامة بعد أن كانت مصلحة حكومية وذلك بموجب مرسوم ملكي .

كليات الجامعة

تضم الجامعة الاسلامية الكليات التالية :

كلية الشريعة :

وهي أول كلية انشئت في الجامعة الاسلامية عام ١٣٨١هـ . ومدة الدراسة فيها اربع سنوات يمنح المتخرج فيها درجة الليسانس في الشريعة الاسلامية . وقد بلغ عدد الطلاب الذين التحقوا بها في عامها الأول ٨٥ طالباً ، وتخرج الفوج الأول فيها عام ١٣٨٥/٨٤هـ ، اذ بلغ عددهم ٤٣ جامعياً ينتمون إلى ١٣ قطراً . أما المواد التي يتلقاها الطالب في كلية الشريعة فهي التفسير والتوحيد ، والحديث ، وأصول الحديث ، والتاريخ الاسلامي ، والاخلاق الاسلامية ، وفقه المذاهب الأربعة ، وأصول الفقه ، والنحو والصرف ، والبلاغة ، والمجتمع الاسلامي الحديث ، والمذاهب الهدامة ، وحاضر العالم الاسلامي . وتوجد في الكلية مكتبة واسعة



درج من الرخام يفضي الى مدخل قاعة المحاضرات الكبرى .



تزخر مكتبات الجامعة بمختلف كتب العلوم الدينية والأدبية والتاريخية .

تحتوي على أمهات الكتب والمراجع ذات الصلة بالمواد والمواضيع التي تدرس في الكلية ، إلى جانب المراجع العامة والمجلات العلمية والنشرات الدورية . وقد بلغ عدد طلاب الكلية في العام الدراسي ١٣٩٥/٩٤هـ (٥٩٢) طالباً ينتمون إلى ٥٠ قطراً . وبلغت نسبة الطلاب السعوديين بينهم ٢١ بالمئة من المجموع .

• **كلية الدعوة وأصول الدين :** أنشئت هذه الكلية عام ١٣٨٦هـ ، وكان الغرض من انشائها هو سد النقص الذي لمسه القائمون على شؤون الجامعة في كثير من مجتمعات المسلمين ، إذ تعاني من قلة الطلاب الجامعيين المتخصصين في شؤون الدعوة الاسلامية . فرأى مجلس الجامعة انشاء هذه الكلية لاعداد الطالب الجامعي المتخصص ، لكي يتمكن من شرح مزايا الدين الاسلامي للمثقفين من أبناء الديانات الأخرى . الى جانب تبصير المسلمين بحقائق دينهم ومبادئه السامية وتنقيتها مما علق بها من ادران الجهل وزيغ التحريف . وكانت نواة هذه الكلية في عامها الأول ٥٧ طالبا . وتخرج منها الفوج الأول عام ١٣٩٠/٨٩ . إذ بلغ عدد المتخرجين ٣٧ طالبا يمثلون ١٩ قطراً . وتشتمل المواد التي يتلقاها الطلاب في هذه الكلية خلال السنوات الدراسية الأربع على التفسير والتوحيد والحديث ، وأصول الحديث ، والسيرة النبوية ، والأخلاق الاسلامية ، وأسس الدعوة وآداب الدعاة ، وأدب البحث والمناظرة ، ودراسات في الفقه المقارن ، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، والمجتمع الاسلامي الحديث والمبادىء الهدامة ، وحاضر العالم الاسلامي ، والنحو والصرف ، والانشاء والخطابة ، والبلاغة ، والأدب العربي ، واللغة الانجليزية . ويتبع الكلية مكتبة خاصة بها أسوة بمكتبة كلية الشريعة . وتجري تغذيتها باستمرار بكل ما يستجد من الكتب والمطبوعات ذات العلاقة بالمواد التي تدرس في الكلية . وقد بلغ عدد طلاب هذه الكلية في العام الدراسي ١٣٩٥/٩٤هـ (٢٨٩) طالبا بينهم ١٦ طالبا سعوديا .

• **كلية القرآن الكريم :** وهي أحدث كلية في الجامعة الاسلامية إذ صدرت الموافقة السامية على انشائها بتاريخ ١٣٩٤/٩/٦ ، وبدأت فيها الدراسة في شهر شوال ١٣٩٤هـ . وهي تعنى بدراسة العلوم القرآنية دراسة مستفيضة ، الى جانب دراسة التفسير ، والحديث ، والتوحيد ، واللغة العربية . والأديان والمذاهب والفرق ، ومناهج البحث . ومواد التربية الاسلامية ، وعلم النفس من الوجهة الاسلامية ، وطرق الدعوة والتدريس . وقد التحق بها في سنتها الأولى عشرون طالبا .

وجدير بالذكر أن عدد خريجي كليتي الشريعة والدعوة وأصول الدين منذ انشائهما بلغ الفا وستة وستين جامعيا بما في ذلك خريجو الكليتين في الدور الأول لعام ١٣٩٥/٩٤ هـ .



آيات بينات من القرآن الكريم نقشت على الواجهة الأمامية لمبنى قاعة المحاضرات الكبرى .

المعاهد والدور التابعة للجامعة

• **المعهد الثانوي :** أنشىء هذا المعهد عام ١٣٨١هـ ، والغرض من انشائه استيعاب عدد من أبناء العالم الاسلامي ممن يحملون شهادة الكفاءة وليس في بلادهم معاهد دينية ثانوية لاستكمال دراستهم . ومدة الدراسة في المعهد ثلاث سنوات ، يحصل المتخرج بعدها على شهادة اتمام الدراسة الثانوية التي تؤهله للالتحاق بالمرحلة الجامعية في الجامعة الاسلامية . ويختص المعهد بدراسة العلوم الدينية والعربية والاجتماعية . وقد بلغ عدد طلابه في العام الدراسي ١٣٩٥/٩٤هـ (٦٠٨) من الطلاب ، وبلغ عدد خريجيه منذ

وسائل الراحة المتوفرة في غرف الطلاب تتيح لهم جوا مريحا يساعدهم على الاستذكار .



جانب من المباني المخصصة لسكن طلاب الجامعة .

تعمل ادارة الجامعة على تطوير مبانيها بشكل مستمر تتلائم واحتياجات الطلاب

افتتاحه ١٠٣١ طالبا ينتمون الى أقطار شتى . وقد ألحق بالمعهد مكتبة خاصة يستفيد منها طلبة المعهد ومدرسوه .

• **المعهد المتوسط :** أنشىء معهد الدراسة المتوسطة التابع لادارة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨٦هـ ، لاستيعاب عدد من أبناء العالم الاسلامي ممن يحملون شهادات ابتدائية أو ما يعادلها ، حتى يتمكن الملتحقون به من اكمال دراستهم المتوسطة التي تؤهلهم لمواصلة دراساتهم الثانوية والجامعية . ويشترط للدخول في هذا المعهد أن يكون الطالب من بلاد لا يتوفر فيها تعليم اسلامي على مستوى الدراسة المتوسطة والثانوية ، ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات . وقد بلغ عدد طلاب هذا المعهد في العام الدراسي ٩٤/١٣٩٥هـ (٣٥٣) طالبا ، وبلغ عدد خريجيه منذ افتتاحه ٣٥٨ طالبا .

• **شعبة تعليم اللغة العربية :** أنشئت عام ١٣٨٦ لاستقبال الطلاب الذين يحملون شهادات دراسية من بلاد غير عربية ولا اسلامية ولا يتكلمون اللغة العربية التي بواسطتها يمكنهم



احد المباني التابعة للجامعة الاسلامية

طالب مستغرق في الاستذكار في رحاب المكتبة

متابعة دراساتهم في المراحل التعليمية بالجامعة . ويمضي الطالب في هذه الشعبة عامين حتى يتقن اللغة العربية ، ثم ينتظم بعدها في أحد أقسام الجامعة وفق ما يحمله من مؤهلات علمية . وقد استقدمت الجامعة لهؤلاء الطلاب مدرسين مختصين يجيدون عدة لغات ليتولوا تدريبهم وتقويم ألسنتهم على النطق باللغة العربية . وقد ضمت هذه الشعبة ١٠٢ من الطلاب في العام الدراسي ١٣٩٥/٩٤هـ .

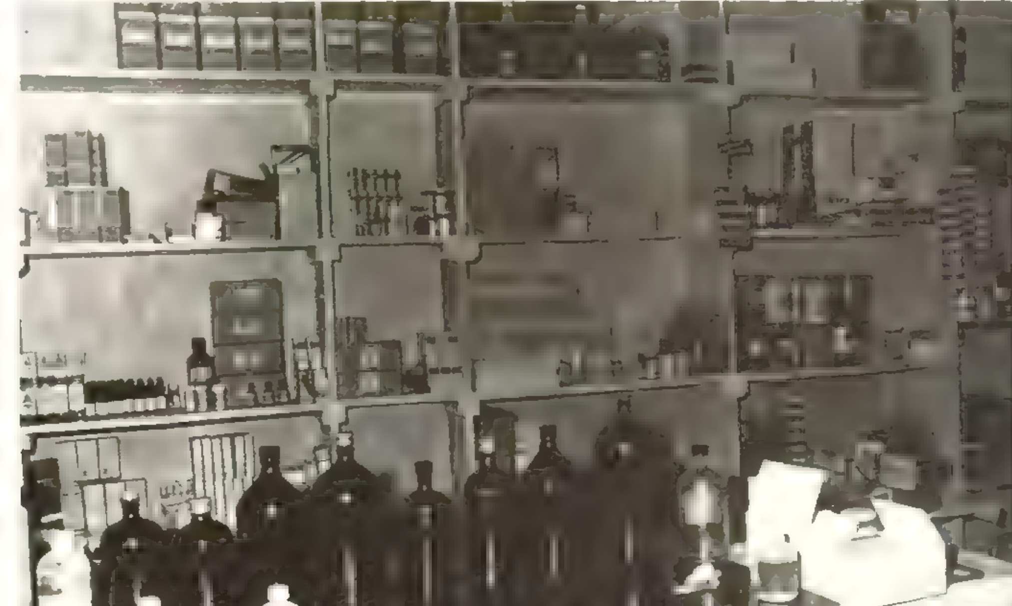
• **دار الحديث بالمدينة المنورة:** أنشئت هذه الدار كمؤسسة أهلية عام ١٣٥١هـ باذن خاص من جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، رحمه الله ، وقد ضمت هذه الدار التي تشغل حاليا مبنى مجاورا للمسجد النبوي الشريف ، الى الجامعة الاسلامية عام ١٣٨٤هـ ، ويشتمل المنهج الدراسي في دار الحديث على مرحلتين تعليميتين : تمهيدية ومدتها خمس سنوات ، ومتوسطة ومدتها ثلاث سنوات . ويلتحق الطالب الحاصل على شهادة الكفاءة المتوسطة منها بالمعهد الثانوي التابع للجامعة .



الاشجار الوارفة تحيط بمباني الجامعة الاسلامية .



أحد مباني الجامعة ومن خلفها تبرز جبال الحماوات الوردية اللون .



رفوف صيدلية الجامعة تزخر بأحدث العقاقير والأدوية التي تصرف بالمجان للطلاب وهيئة التدريس والموظفين في الجامعة وعائلاتهم .

• دار الحديث بمكة المكرمة : وهي على غرار دار الحديث بالمدينة المنورة وقد أنشئت عام ١٣٥٢هـ وضمت الى الجامعة عام ١٣٩٢/٩١ وهي تتفق مع دار الحديث بالمدينة في مراحلها التعليمية ومناهجها وخططها الدراسية .

مجلس الجامعة

ان جلالة الملك المعظم هو الرئيس الأعلى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة . وللجامعة مجلسان هما المجلس الاعلى الاستشاري ومجلس الجامعة . ويتألف المجلس الاستشاري حالياً من سماحة رئيس الجامعة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز رئيساً ، ومن عشرين عضواً : نائب رئيس الجامعة . ووزير المعارف ، او من ينوب عنه . ومدير جامعة الرياض واثنين من هيئة التدريس في الجامعة . وخمسة عشر عضواً من كبار العلماء وقادة الفكر الاسلامي . يراعى في اختيارهم تنوع الاختصاص وتمثيل مختلف البلاد الاسلامية ، وتكون مدة عضويتهم سنتين قابلتين للتجديد . ويختص هذا المجلس بوضع خطط الدراسة والمناهج . وتعديل أنظمة الجامعة ، وانشاء اقسام ومعاهد وكليات جديدة . واختيار أعضاء هيئة التدريس ، والبحث في الوسائل الكفيلة بتحقيق اهداف الجامعة . أما مجلس الجامعة فيتألف حالياً من سماحة رئيس الجامعة رئيساً ، وعضوية كل من نائب رئيس الجامعة فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ، والأمين العام فضيلة الشيخ عمر محمد فلاته ، وعمداء الكليات واربعة من أعضاء هيئة التدريس ، ووكيل وزارة المعارف او من ينيبه ، وعضو من وزارة المالية . ويختص هذا المجلس بأمور كثيرة منها ، اقتراح انشاء كليات ومعاهد جديدة . واعداد مشاريع الأنظمة والتعليمات الجامعية وتوزيع الدروس على القائمين بالتدريس في الجامعة . ومنح الدرجات والشهادات العلمية . والاشراف على تنظيم النشاط العلمي الاجتماعي في الجامعة . وتحديد عدد أعضاء وهيئة التدريس . والموافقة على مشروع الميزانية . وابداء الرأي في مسائل التعليم ذي الصلة بالجامعة ، وتأليف لجان فرعية لبحث موضوعات معينة . والاشراف العام على تحقيق أهداف الجامعة وتنفيذ انظمتها واعداد اللوائح التنفيذية . واعداد تقرير سنوي عن سير الدراسة في الجامعة وما شاكل ذلك .



متعة القراءة تتوفر في قاعات المكتبات حيث تزخر بألوان المعرفة .

وتضم هيئة التدريس في الجامعة نخبة ممتازة من الأساتذة المؤهلين تأهيلاً عالياً والأساتذة المساعدين والمحاضرين والمعيدين وقد بلغ عدد أعضاء هيئة التدريس للعام الدراسي ١٣٩٥/٩٤ (١٦٦) عضواً . وجدير بالذكر ان المعيدين ملتحقون بالدراسات العليا « بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة » . هذا وقد تضمنت الخطة الخمسية للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة انشاء كلية للحديث الشريف والدراسات الاسلامية ، وافتتاح كلية للغة العربية والآداب ، وقسماً للدراسات العليا ومركزاً لشؤون الدعوة .

مرافق الجامعة ومشاريعها

علاوة على مباني الاقسام التعليمية يضم حرم الجامعة منشآت عديدة حديثة الطراز . وتشمل هذه مبنى قاعة المحاضرات الكبرى التي تضم مدرجاً يشتمل على ١٧٥٠ كرسياً ، عدا الصالات الاضافية وغرف المحاضرين ومنصة لهم ومقصورة الشرف المخصصة لكبار الزائرين كما يضم مبنى قاعة المحاضرات المكتبة العامة للجامعة وهي تحتوي على مجموعات كبيرة من الكتب النفيسة في العلوم الاسلامية والعربية ، وبها قسم للغات وقسم للمخطوطات . ان المشاهد لهذا المبنى البديع الخاص بالمكتبة العامة ليدرك بلا ريب العطاء الجزل والبذل المادي الذي تغدقه الدولة على الجامعة الاسلامية لتوفر لها المرافق المريحة التي تليق بمكانتها . ويجري حالياً انشاء مسجد على مقربة من مبنى قاعة المحاضرات والمكتبة العامة وهو على وشك الانتهاء، وقد صمم وفق نموذج يجمع بين أصالة الفن العربي المعماري وروعة الهندسة الحديثة . ويقوم أمام قاعة المحاضرات اربعة مبان مخصصة لسكن طلاب الجامعة تتوفر فيها جميع أسباب الراحة . ويتألف المبنى الرئيسي من خمسة أدوار ويتسع لنحو ٩٠٠ طالب . أما المباني الثلاثة الأخرى فيتألف كل منها من دورين . ويتسع لنحو ٣٠٠ طالب . وهناك ايضاً مبنى مستوصف الجامعة الذي يوفر خدمات صحية ممتازة لطلاب الجامعة والمدرسين والموظفين وعائلاتهم . ويشتمل على عيادات الأطباء والصيدلية والمختبر وقسم الأشعة، وقسم الضماد، وقسم المتابعة وقسم التمريض . ويعمل في مستوصف الجامعة نخبة من الأطباء وصيدلي قانوني وعدد من المساعدين والممرضين والفنيين . وقد تضمنت الخطة الخمسية تطويره إلى مستشفى متكامل . كما يضم الحرم الجامعي مبنى رئاسة الجامعة ، والأمانة العامة ، ومبنى الادارة المالية وشؤون الموظفين والعلاقات العامة ، ومبنى ادارة الامتحانات وشؤون الطلبة ، ومبنى ومطعم الجامعة ، ومبنى المستودعات العامة ، ومبنى مساكن بعض الموظفين ، ومرآباً لاصلاح سيارات الجامعة وحظائر لها .

امتيازات الطلبة والمنح الدراسية

يتمتع طلبة الجامعة الاسلامية بامتيازات كثيرة قل ان تتوفر في مؤسسة علمية أخرى ،

ويعود ذلك إلى ما تغدقه الدولة عليها باعتبار الجامعة مؤسسة اسلامية عالمية ، يتضح ذلك من الأموال التي تخصصها لها الدولة . وقد بلغت مخصصات الجامعة الاسلامية في ميزانية الدولة لعام ٩٥/١٣٩٦هـ (١٤٦٦١٩٠١٥) ريالاً في حين بلغت مخصصاتها لدى افتتاحها ثلاثة ملايين ريال . ولذا تحرص ادارة الجامعة على توفير كل ما من شأنه تمكين طلبتها من متابعة دراساتهم بارتياح وطمأنينة عن طريق توفير السكن المريح لهم والعلاج الطبي المجاني ، والكتب الدراسية ، وتأمين المواصلات يومياً بين مقر الجامعة والمسجد النبوي وفق برنامج منظم . هذا علاوة على استقدام الطلاب جواً على حساب الجامعة وترحيلهم إلى بلادهم . وقد خصصت الجامعة داراً في مدينة جدة لاستقبال الطلاب الوافدين والمرتحلين واسكانهم بالدار حتى يتم انجاز معاملاتهم ومغادرتهم جدة إلى المدينة المنورة أو إلى بلادهم ، مع تيسير اجراءات سفرهم وما يتعلق بجوازاتهم . وإلى جانب كل ذلك يتلقى الطالب في الجامعة مكافأة شهرية تتراوح بين ٢٠٠ و ٣٥٠ ريالاً تبعاً للمرحلة الدراسية التي يجتازها. وتوفر الجامعة لطلابها خدمات الرعاية الاجتماعية بما في ذلك الناحيتان الثقافية والرياضية ، ويقوم بها اخصائيون ومشرفون اجتماعيون ذوو خبرة واسعة في هذا المجال ، فتنظم للطلاب الرحلات الاستطلاعيـة ، والاجتماعات والندوات الثقافية .

ومع كل بداية عام دراسي تقوم الجامعة بتوزيع المنح الدراسية التي تخصصها الدولة على الأقطار الاسلامية والبلدان التي يوجد فيها مسلمون، على النحو الذي يقرره مجلس الجامعة. وقد صدرت مؤخراً الموافقة السامية على تخصيص ٦٨٠ منحة جديدة للعام الدراسي ٩٥/١٣٩٦هـ موزعة على ١٠٧ من الأقطار . وفي هذا الصدد قال فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد نائب رئيس الجامعة الاسلامية : ان تقديم ٦٨٠ منحة دراسية جديدة هي مكرمة جديدة توضح مدى العناية التامة التي توليها حكومة جلالة الملك المعظم لهذه الجامعة المباركة التي شمل نفعها أقطاراً عدة تستقدم ابناءها لتعليمهم العلم الشرعي وتثقيفهم الثقافة الدينية المستمدة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم .

النشاطات العامة للجامعة الاسلامية

دأبت الجامعة الاسلامية منذ تأسيسها على تنظيم مواسم ثقافية عامة مفتوحة لتنشيط الحركة الفكرية في المملكة التي تمتد آثارها إلى الأقطار العربية والاسلامية . ويحاضر في هذه المواسم كبار أساتذة الجامعة كل في مجال تخصصه في مختلف شؤون الحياة، وتقوم الجامعة بطبع كثير من تلك المحاضرات وتوزيعها على الهيئات والمؤسسات الاسلامية في أنحاء العالم بالاضافة إلى الكتب القيمة التي تصدرها من حين إلى آخر كما توفد الجامعة كل عام بعثات إلى الخارج للدعوة إلى الاسلام والاطلاع عن كثب على أحوال المسلمين وتعزيز الاتصال بهم ، ومساعدة الهيئات الاسلامية مادياً ومعنوياً ، وتقديم تقارير ومعلومات مفصلة عن البلدان التي تزورها . وفي صيف هذا العام تمت الموافقة السامية على ايفاد بعثات للدعوة إلى كل من السودان ، ومالي ، والنيجر ، والباكستان ، والهند ، وامريكا ، وبريطانيا ، واليابان . وتوثيقاً للصلة بالمتخرجين تقوم دار الافتاء والاشراف على الشؤون الدينية في المملكة العربية السعودية بالتعاقد مع بعض المتخرجين من الجامعة الاسلامية للقيام بالدعوة والتدريس في أقطار متعددة على نفقة الحكومة السعودية .

هذا وتصدر الجامعة مجلة راقية باسم « مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة » كل ثلاثة أشهر ، حافلة بالمقالات الاسلامية الضافية والبحوث المستفيضة والفتاوى الرشيدة ، وتوزع على الهيئات والمؤسسات الاسلامية وعلى القائمين والمعنيين بأمر الدعوة الاسلامية في داخل المملكة وخارجها . ويشارك في الكتابة في المجلة رئيس الجامعة وعلماؤها وطلابها بالاضافة إلى علماء ومفكرين من سائر البلاد الاسلامية . وجملة القول ان نشاطات الجامعة الاسلامية تنبثق من ايمانها الراسخ بالتفاعل الشامل المجدي مع المجتمعات الاسلامية أنى وجدت . . .

وبعد . . هذا قليل من كثير يمكن التحدث فيه عن جامعة تغذ السير في طريق النور الذي أسبغه الله على العالم عبر رسالة الاسلام ، رسالة الخير والرشاد . التي تكافح الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة لنشر الويتها على البشرية جمعاء .

سليمان نصر الله – هيئة التحرير

تصوير : عبد اللطيف يوسف

الواجهة الأمامية لقاعة المحاضرات الكبرى تزدان بالأقواس وهي تمر الآن باللمسات الفنية الأخيرة





الراجوف
جسم الانسان من عدة أجهزة ذات
وظائف متنوعة مختلفة ، وهي
مجموعها تؤدي إلى نتيجة واحدة هي الحفاظ
الجسم كي يستمر في نشاطه وانتاجه . وتقوم
الانسجام فيما بينها للوصول إلى الهدف الذي
صممت من أجله ، على الرغم من وجودها على
شكل أجهزة مستقلة . ولعل أوثق هذه الصلات
كثر هذه الأجهزة
إلى العضلات
هذه الخطوط حزمة هرمية الشكل فسميت بهذا
Pyramidal Pathway

بقلم: الدكتور يونس شناعة

المتوسط Midbrain وهو ما يلي قشرة (قمة) الدماغ في العمق ، فساق الدماغ — Brain Stem هذا الجزء من الجهاز العصبي خاص بالحركة الارادية ، فاذا اصابه تلف من التهاب او نزيف أو نحوهما انفلج الانسان وفقد قدرته على الحركة في الجنب المعاكس .

والجزء الثاني من الجهاز العصبي خاص بالحركة غير الارادية ، وتشمل هذه الحركة كل أنواع العضلات الدقيقة التي تتحكم في نشاط الغدد وافرازها ، والقلب ونبضه والشرايين وتقلصها وتمددها ، والمعدة والامعاء وفتحاتها ، ويسمى هذا الجزء بالجهاز التلقائي او الذاتي Autonomicsومنه الفرع العاطفي Sympathetic وابرز ما في هذا الجهاز ان نشاطه مستمر دون أن يعي الانسان عمله ، كنبض القلب وحركات المعدة والامعاء وغير ذلك . ومن هذه الحركات ما يحس به الانسان ولكن لا يملك له رداً ، كالخفقان عند الخوف او الثورة العاطفية ، واحمرار الوجه عند الخجل ، والاسهال عند الخوف الشديد ، وهذا هو المظهر العاطفي لهذا الجزء من الجهاز العصبي .

والجزء الثالث من الجهاز العصبي المتصل بالحركة ، ذو علاقة بالحركات المتعلق بعضها ببعض Associated Movements ، واعتدال وضع الجسم — Postural Adjustment وانتظام الجهاز التلقائي المذكور آنفاً . ان اية اصابة في هذا الجزء ، وعلى أي مستوى كفيلة بتعطيل الحركة الارادية في العضو ذي العلاقة ، وظهور الحركة غير المقصودة . ولما كان نسيج هذا الجزء خارج الممر الهرمي (المذكور اعلاه) لذلك سمي بهذا المعنى Extrapyramidal ويتكون هذا الجزء من حزم عصبية في قرار الدماغ هي أهم ما فيه ، وتسمى بالعقد او الحزم العصبية القرارية Basal Ganglia وهذا ما يعنينا في هذه المقالة .

تتكون هذه العقد من كتل عصبية من الخلايا ، وأهمها اثنتان : الأولى الكتلة او النواة العدسية Lentiform Nucleus ويفصلها عن المهاد Thalamus وهو مركز العواطف في الجهاز العصبي ، حزم الأعصاب المنطلقة من قمة الدماغ وتسمى الكبسول الداخلي Internal Capsule . الثانية النواة المذنبة Caudate Nucleus ويفصلها عن المهاد وعن النواة العدسية الكبسول الداخلي نفسه . وتنطلق من القسم الداخلي من النواة الأولى خيوط عصبية تصل بينها وبين قمة الدماغ من جهة وبينها وبين ساق الدماغ من جهة أخرى . ولدى استثارة هذه العقد العصبية كهربائياً تسترخي العضلات الارادية وتتعطل فلا تستجيب لارادة الدماغ . واذا ما أصابها العطب لمرض او نحوه ، ظهرت حركات خارجة عن ارادة الانسان على شكل ارتجافات دقيقة في الاطراف واللسان ونحوهما .

ما هو مرض الراجوف؟

هو مرض عصبي يصيب الانسان بعد سن الخمسين عادة . وتظهر اعراضه تدريجياً ، وفي جانب واحد من الجسم .

وابرز هذه الأعراض الارتجاف والتيبس Tremors and Rigidity ، ومظاهر الارتجاف أكثر وقعاً في نفس المريض وألفت لنظر الملاحظ ، ومن هنا سمي بالراجوف من باب تسمية الشيء بأبرز ما فيه . ولا تكاد الاعراض تلاحظ بادىء الأمر وربما لعدة اشهر من ابتداء العلة . ولعل أول ما يلاحظه المريض ، وهو في العادة الرجل المسن ، ارتجاف في الابهام لدى التقاط فنجان القهوة ، او اهتزاز الفنجان في يده ، أو اضطراب في خطه عند الكتابه بسبب اهتزاز اليد . والصورة المثالية هي أن يبدأ الابهام بالانزلاق تارة إلى الأمام متجهاً نحو السبابة والوسطى في محاولة يائسة للامساك بالفنجان وتارة إلى الخلف ، وبسرعة ، كما لو كان الابهام يدحرج برشامة دواء ، وتسمى حركة الابهام هذه بدحرجة البرشامة Pill-rolling Movement . ومع اهتزاز الابهام يأخذ الساعد بالاهتزاز على المرفق . مع كون الرجفة تبدأ في جانب واحد اولاً ، إلا انها سرعان ما تشمل الجانب الآخر في وقت قصير ، ثم يتطور المرض فتشمل الرجفة الرأس واللسان والساقين .

في بداية المرض يستطيع المريض ان يتحكم في الرجفة جزئياً ، فجهاز الحركة الارادية سيد الأجهزة الثلاثة عادة ، ما يزال في أوج فعاليته ، وبين الجهازين ارتباط كما ذكرنا . غير ان المريض يفقد السيطرة على الرجفة بعد تطور المرض واشتداده ، فهو يحاول اولاً وثانياً ، وثالثاً ، ثم يحس بالحرج ويصيبه اليأس عندما يتأكد من خروج الأمر عن ارادته . ولذلك رد فعل نفسي سيء جداً يتطور إلى اكتئاب دائم . وإلى جانب الرجفة يظهر على المريض بطء الحركة وتلاشي تعابير الوجه منذ البداية ، وتسمى هذه الظاهرة بظاهرة الوجه المستعار Mask facies . وهذه المظاهر هي مظاهر التيبس Rigidity وهو الجزء الثاني من الأعراض ، فالتيبس الذي يطرأ على عضلات الجسم يحد من حركتها ، فيبدو الوجه جامد الملامح لتيبس عضلاته وتبطؤ حركة الأطراف لنفس السبب ويتيبس الجذع بسبب تيبس العضلات المحيطة بالعمود الفقري في الجذع والرقبة ، فحينما يحاول المريض الالتفات يدور جسمة كله قطعة واحدة . وفي حالات الراجوف الشديدة قد يتسمر المريض في مكانه (جالساً) ، كالتمثال مدة طويلة ، وينحني جسم المريض قليلاً في وضع الوقوف بسبب تيبس عضلات الرقبة واعلى الجذع والعمود الفقري ، أما الأطراف فتتيبس بحيث يكون الساعد في حالة انطواء يشكل مع المرفق زاوية قائمة . ومن الطبيعي ان لا يحسن المريض الجري ، وإذا حاول ذلك فانه يجري بشكل بطيء ورجلاه متباعدتان ، وبصورة مضطربة ، ويظهر وكأنه « يبحث عن مركز ثقله » كي لا يختل توازنه فيقع على الأرض .

وفي حالات الراجوف الشديدة يكون اللعاب غزيراً جداً ولا يحسن المريض التصرف به فيسيل من شدقيه على ذقنه وصدره بشكل مزعج .

أما البلع والهضم ووظائف ونشاطات الجهازين البولي والهضمي ، فلا تتأثر بهذا المرض ، كما لا يطرأ أي خلل على الحالة العقلية للمريض ، ولعل ذلك أسوأ ما في المرض ، حيث يعي المريض كل تطورات المرض ومآسيه ، ويتجرع مرارته ولا حيلة له في ذلك ، أما صوت المريض فيصبح خشناً أجش ، وذلك عائداً إلى تشنج او تيبس العضلات التي تتحكم في الأوتار الصوتية .

ولهذا المرض ظاهرتان غريبتان : الأولى ان الارتجاف يتوقف كلية أثناء النوم ، ولعل ذلك يشير إلى صلة قوية بين الجهاز المسيطر على الارتجاف (في الحالات الصحية) وبين المنطقة من الدماغ (ساق الدماغ) المتعلقة بالنوم واليقظة وتسمى بالنسيج المشبك ، Reticular formation . والثانية ان المريض قد يتحسن كثيراً ولعدة أيام أحياناً ، حين يحس بالسعادة والراحة النفسية ، إلا أن ذلك لا يلبث أن يتلاشى . وفي هذه الظاهرة ما يعقد المشكلة من ناحية تعليلية ، وقد يشير إلى صلة المرض بالمهاد Thalamus ، مهد العواطف ، أو بقمة الدماغ ، مصدر التفكير والمهيمن على كل شيء .



سبب المرض

وصف الدكتور جيمس باركنسون مرض الراجوف في أواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر ، في مقالة عن المرض ، وعلل ذلك بأنه فقدان السيطرة على نبضات أعصاب معينة بين الدماغ واجزاء معينة من الجسم .

وما يزال سبب المرض الأساسي غامضاً حتى الآن ، لقد ظن الأطباء على عهد الدكتور باركنسون ان المشكلة في تصلب الشرايين التي تغذي العقد العصبية القرارية Basal Ganglia ، إلا أن التجارب التي أجريت على الحيوانات نفت ذلك ، حيث لم تلاحظ الصورة السريرية المشروحة آنفاً في الحيوانات المستخدمة . وعليه أصبح الظن أن نوعاً خاصاً من العطب يحل بهذه العقد ، وخاصة القسم الداخلي من النواة العدسية ، فيكون المرض .

إلا أن حالات مرضية أخرى قد تسبب مرض الراجوف (او مرض باركنسون) كالتهاب الدماغ في مثل الوباء الذي نزل بمدينة فينا Vienna عام ١٩٢٠ م ، وانتشر تدريجياً في جميع أنحاء العالم واختفى عام ١٩٣٣ ، فالأشخاص الذين أصيبوا بالحمى الدماغية بسبب جرثومة من نوع الفيروس Virus ، ظهرت عليهم أعراض مرض الراجوف فيما بعد (وبعد سنين) ، وكثيرون منهم كانوا شباناً .

ويعتقد ان التسمم بغاز أول اوكسيد الكربون او بالكحول او بالمنغنيز ، أو اصابة الدماغ بأذى من أي نوع آخر ، كل ذلك يمكن أن يكون مقدمة لمرض الراجوف كما ان الادمان على بعض العقاقير ، قد يؤدي إلى ظهور أعراض موقتة شبيهة بمرض الراجوف إلا أن الصورة ، صورة المرض السريرية ، تكون ناقصة في هذه الحالات ، ومن هذه العقاقير والأدوية المسكنات ومضادات القيء .

تطور المرض

يمكن للمريض ان يعايش مرض الراجوف في كثير من الأحيان ، خصوصاً اذا تم تشخيصه مبكراً واولاه المريض والطبيب عناية خاصة . ولذلك فان أكبر خطأ يرتكبه المرء أن يحس باضطراب في اليدين عند الكتابة او تناول شيء ما ، ويطمئن نفسه ويعتبر الأمر نتيجة الارهاق والاعياء . ولا يكلف نفسه عناء استشارة الطبيب ليتولى الحكم عنه على المشكلة وتقدير أهميتها .

يقدر عدد المصابين بمرض الراجوف هذه الأيام ، في الولايات المتحدة الاميركية ، بحوالي المليون ، الا ان الكثيرين من هؤلاء يتمتعون بنعمة العلاجات المتجددة والاجراءات الجراحية المبتكرة ، لمكافحة هذا المرض والتخفيف من حدته ، وبذلك يصبحون قادرين على العيش بشكل معقول . ولا يعني ذلك ان بعض هؤلاء لا يتطور بهم المرض إلى حد سيء تنشل معه حركتهم فلا يحسنون اطعام انفسهم بأنفسهم .

العلاج

في العقود الأولى من هذا القرن راج نوعان من العلاج لهذا المرض هما الاتروبين Atropin ومشتقاته ، ومضادات الهيستامين Anti histamines . وقد اعطى التعامل بهما نتائج محمودة في كثير من الحالات ، إلا أن أحدث العلاجات لهذا المرض هو هورمون يسمى ليفودوبا Levodopa حيث ظهر التقرير الأول عن مفعول هذا العلاج عام ١٩٦٧م . ومنذ ذلك الحين وهذا العلاج يستعمل على نطاق واسع ويعطي نتائج طيبة ، وهو ، لكثير من المرضى ، العلاج المفضل . إلا أنه لا يخلو من آثار جانبية سيئة ، منها تأثيره على النبض وضغط الدم ، والاثارة الجنسية .

وقبيل اكتشاف علاج ليفودوبا ، لجأ الجراحين الى اجراء عملية جراحية في غاية الدقة على بعض المرضى الذين تطور بهم المرض إلى مرحلة عصيبة جداً فشلت معها كل المحاولات .

ويقوم الجراح ، جراح الجهاز العصبي ، في هذه الحالة ، بتحطيم او استئصال القسم الداخلي من النواة العدسية ويسمى بالكتلة الباهتة Globus Pallidus وفي هذه العملية ما فيها من خطر ، ويختار المرضى لاجرائها بمنتهى العناية ، وبالرغم من كل ذلك فان العملية تتوج بالنجاح الباهر أحياناً ، ويختفي الارتجاف

●

د. يونس شناعة — عمان

انحراف الأطفال

بقلم: الأستاذ محمد عبد الرحيم عدس

لا يسع المتتبع منا لأخبار المجتمع في الصحف او المجلات ، الا أن يهتم ويتأثر بقضية انحراف الأطفال ، ليست باعتبارها القضية الكبرى للقرن العشرين فحسب ، وانما لاستفحال خطرها سنة بعد أخرى . فقد غدت هذه القضية في بعض بلدان غرب اوروبا أكثر قضايا العصر الاجتماعية الحاحاً . تتطلب الحل السريع الناجع . فقد أخذت الجريمة تنتشر بسرعة تهدد معها أفضل الجهود البشرية التي تبذل لحصرها والسيطرة عليها اذ ان عدد الذين قبض عليهم ، وقدموا للمحاكمة ممن هم دون الثامنة عشرة قد تضاعف ثماني مرات خلال عشر سنوات تقريباً .

مفهوم الانحراف

ان تحديد مفهوم (الانحراف) هو الصعوبة الكبرى التي تواجهنا ليس من الناحية القانونية فحسب ، وإنما من الناحيتين السيكولوجية والاجتماعية أيضاً . إذ ليس هناك اتفاق اجماعي بين بلدان العالم المختلفة ، حول طبيعة الانحراف . أو حول نوع العقوبة او شدتها لمثل هذا النوع من السلوك .

يتوقف الانحراف على الظروف التي تحيط بموقف خاص معين ، فقد يتضمن في مفهومه غياب الطفل دون اذن خاص من ولي أمره ، أو الهروب من البيت ، أو العناد وعدم الطاعة ، وما شابه ذلك . كما قد يتضمن أيضاً كل سلوك عدواني يوجه ضد المجتمع ، أو الشعور بالذنب الذي يؤدي إلى نوع من السلوك المنحرف والذي يشكل خطراً على الطفل وعلى المجتمع معاً .

وربما كان في نظرتنا إلى الانحراف كصفة ثابتة أكثر منه صفة متغيرة ، ما يشكل صعوبة في وجهنا للتعامل معه والوقوف على حقائقه وعلاجه . فقد دأبت الأبحاث التي أجريت في هذا المجال على اعتبار السلوك المنحرف متشابهاً مهما تغير . وهذا يعني ان الباحثين لم يفرقوا بين سلوك الانحراف المختلفة ، في النوع ، وفي الدرجة او في الظروف التي احاطت به .

ابعاد الانحراف

كان الانحراف مداراً للبحث حقبة طويلة من الزمن لكل العاملين والمهتمين بقضايا المجتمع ، والمشتغلين بسلوك افراده ، وحاجاتهم . وهكذا اتخذت الدراسة حوله اتجاهات وابعاداً مختلفة . فالباحث الاجتماعي يهتم بالعوامل الاجتماعية التي أدت إلى الانحراف ، بينما يهتم الباحث السيكولوجي في المظاهر السلوكية للأطفال المنحرفين كنتيجة لعوامل الوراثة والتربية .

اسباب الانحراف

ان عوامل البيئة كالفقر ، أو العيش في حياة عائلية مضطربة ، او الاخلال بالأمن والنظام . كلها تؤدي إلى احباط الحاجات السيكولوجية الأساسية للفرد ومن ذلك ينشأ الانحراف في السلوك ، وبعبارة أخرى الانحراف هو شكل من أشكال التعبير عند الطفل نحو غاية يهدف من ورائها الحصول على الراحة العاطفية ، او هو ردّ فعل لمعارضة رغباته والوقوف في وجهها . والفارق الوحيد أحياناً بين السلوك المنحرف وعدمه يكمن في اتجاه الفرد ، وفي طريقة تعبيره ، حيث يستخدم المنحرفون العدوان وسيلة لتحقيق أغراضهم ، والعنف طريقاً لحل قضاياهم الاجتماعية الشخصية. وقد ينشأ الانحراف من العكوف على الملذات الشخصية ، أو نتيجة لاتجاهات الكبار نحو الشباب التي ترسم طريق التعامل معهم .

وقد ينحرف الطفل حين يفشل في تنظيم سلوكه بطريق يؤدي إلى اشباع رغباته ، وفي هذا ما يعطي على الأقل تعليلاً لانحراف طفل وعدم انحراف طفل آخر يعيشان نفس الظروف البيئية والعائلية . وكل طفل يتخذ العدوان وسيلة لتحقيق رغباته ، وطريقاً للتعامل مع بيئته ، يتعرض لأحد اختيارين ، أحدهما ان يمضي في سلوكه العدواني فيلجأ إلى السرقة والاغتصاب مثلاً . وثانيهما ان يسلك طريقاً آخر يتقبله المجتمع ويرغب فيه ، فيقوم بأعمال خلاّقة ، ويتقن مهارات ، ويعمل كل ما من شأنه رفع مستواه ، أو يحسّن من ذاته لأن ذلك لم يتيسر له في بيته او مدرسته .

وفكرة الفرد عن نفسه ، وتصوره المناسب لها ذو اثر بالغ في دفع الطفل نحو سلوك قويم مع نفسه ، ومع غيره ، وأي فكرة يحملها عن نفسه ، لا تولد فيه القناعة والشعور بالرضا ، قد تدفعه دفعاً إلى ان يسلك سلوكاً ملتوياً في تصرفاته وأعماله ، وتقلّل إلى حد بعيد قدرته الذاتية على التصدي للمشاكل ، ومجابهة قرناء السوء ، ومعالجة مشاكل البيئة والبيت .



من صفات المنحرفين

يوصف الطفل المنحرف عادة بأنه عنيد . كثير المشاكل ، صعب المراس . لا يسهل قياده ، مشاكس . يميل إلى اغضاب والديه ومعلميه ، وتغلب على أعماله الاساءة إلى الآخرين . والحاق الأذى بهم . كما يغلب عليه طابع التحدي لمن يكبرونه سناً ، وغالباً ما يفشل معه العقاب كوسيلة للعلاج . وتستمر أعماله في جو مشحون بالكراهة والازعاج بعيد عن الأمن والطمأنينة .

ويشكل كل من البيت والمدرسة حلقة متصلة بالنسبة له . حيث ينقل الطفل من احدهما إلى الآخر اتجاهاته وأفكاره ؛ فاذا فشل في المدرسة ، ولم يقدر على القيام بأعمال ناجحة في البيت أسيء في الغالب فهمه . وضعفت ثقة كل منهما فيه ، مما يزيد في كراهته لهما معاً . فيضطر تحت هذه الظروف إلى الهرب من كليهما والبحث عن الراحة والتسلية عساه يجدهما في مكان آخر . ومثل هذا الطفل قد لا يجد البيئة المناسبة او يكتشف ان جميع محاولات التكيف التي بذلها تفتقر دوماً إلى النجاح .

وقد أثبتت دراسة قضايا هؤلاء فشل أصحابها في القدرة على التعامل داخل البيت او المدرسة أو المجتمع . وأظهرت دوماً حالة من التذمر والاستياء . والنظرة العدوانية تجاه الآخرين . وحاجة كل منهم — أذكياً كان أم بليداً — إلى عنصر النجاح فيما يمارس من أعمال ، وفي أي مجال كان . كما أظهرت الدراسة كذلك حاجتهم إلى الصبر والاحتمال . والقدرة على الانتباه والتركيز ، وتحمل المسئولية . وممارستها . واعتبارهم العالم اعداء تجب مهاجمتهم قبل ان يهاجموهم .

المدرسة والانحراف

قد يغيب عن بال المعلمين والأباء العلاقة التي تربط بين مشاكل الطفل ، ومظاهر سلوكه العلني . فالطفل الذي يعاني من حالة خوف شديد ، أو قلق زائد ، قد تدفعه حالته هذه إلى الكذب والسرقة ، أو المراوغة والخداع ، أو أي نوع آخر من السلوك غير المقبول . وأي علاج نقدمه دون تقصي الأسباب والدوافع لهذا السلوك مصيره الفشل المحتوم ، الأمر الذي يقضي على المعلمين والاباء ملاحظة سلوك الأطفال وتقصي أسبابه الحقيقية ليتم علاج المشكلة من الجذور . فسلوك الطفل الظاهر ما هو الا انعكاس لما يعاني من مشاكل . وعلاج المشكلة من الجذور شرط لازم لانقاذ الطفل من الانحراف ، ولردّه إلى حظيرة الصواب

بوادر توحي بالانحراف

ان ما يبديه الطفل من نشاط زائد وميله للتعدي على الآخرين وعدم حصوله على الأمن والراحة ، ما يمكن اعتباره بمثابة نذر توحي باحتمال انحراف السلوك في المستقبل ،وعلامات مبكرة نحو هذا الاتجاه .

وليس للسلوك العدواني تفسير واضح محدد . فقد يختلف مفهومه من شخص إلى آخر . ومن بيئة إلى أخرى . ويعتمد تحديد ذلك على شعور الفرد نفسه إلى درجة كبيرة ، وتقديره الذاتي لمدى خطورة هذا السلوك في تهديده ، وتهديد غيره من الناس . فقد نطلق على الطفل صفة العدوان لا لشيء الا لأنه اتخذ أسلوباً بسيطاً . بعيداً عن التكيف في حديثه مع أب جاف غليظ ، او لأنه حاول التحرر من سلطة الكبار ونفوذهم بطريقة غير مناسبة . وهذا لا ينفي الحقيقة التي تقول ان بعض الأطفال — ولأي سبب كان — يرتكبون دوماً أعمالاً عدوانية ، لا يرضاها المجتمع إلى الحد الذي يصبحون معه دوماً مصدر تهديد ليس للغير فحسب . وإنما لأنفسهم أيضاً .

أثر البيت في الانحراف

لا يستطيع أحد ان ينكر أثر البيت على سلوك الطفل ، ودفعه في الطريق السويّ ، أو في طريق الانحراف ، ولا يعني هذا ان البيت هو المسؤول الوحيد عن ذلك ، إلا أن علاج أية حالة من هذا القبيل لا بد لها من الوقوف على أحوال البيت ، ومجرى الحياة فيه ، بشكل ينير الطريق ، ويضيء جوانب المشكلة ليصبح بالامكان علاجها ، وأي علاج يتناول الطفل وحده ، بعيداً عما يجري من حوله ، هو علاج ليس فيه كبير عناء . وبالنظر في تاريخ قضايا أصحاب السلوك المنحرف ، يتبدى لنا المرة تلو الأخرى صورة عن البيت الذي عاشوا فيه والكبت والضيق الاقتصادي الذي عانوه ، وما لاقوه من عناء نتيجة تكرر افتراق الابوين ، أو انفصالهما عن بعضهما . ومع كل هذا يجب ان لا نفهم بأن أياً من هذه الحالات يجب أن ينشأ عنها بالضرورة انحراف في السلوك .

ولعلاقة الولد بوالديه أثر كبير على سلوكه ، ومهما كانت نوع هذه العلاقة . ودرجة تأثيرها ، فهي ذات اهمية لا تنكر في الأخذ بيده نحو السلوك السوي ، أو دفعه نحو الانحراف . فقد يتخذ بعض الآباء من تصرفات ابنائهم واتجاهاتهم العدوانية دليلاً على الرجولة الحقة . ويعتقدون بامكان السيطرة عليهم اذا عوملوا معاملة الند للند . ولذا فهم لا يبيحون لأنفسهم التدخل في كل ما من شأنه أن يؤكد هذه الرجولة او يبرزها . ويتخذ بعضهم من سلوك اولادهم العدواني وسيلة لتحقيق اتجاهاتهم



العدوانية غير المعلنة ، وقد يحاول بعضهم ستر ضعفه أيام شبابه عن طريق ابراز قوة الأبناء ومقدرتهم الرياضية ، فهم يتخذون من نجاح ابنائهم في اتجاه ما وسيلة لاخفاء فشلهم هم في هذا الاتجاه .

وبدلاً من أن يقف الآباء في وجه انحراف الأبناء نراهم يشجعونهم عليه بما يتخذونه من مواقف ، وليس من المستبعد على هؤلاء أن يشكلوا مع ابنائهم حلفاً ضد الأم التي تبدو وكأنها المسؤول الوحيد عن العائلة ، وأمور أطفالها ، كما يرون فيها مصدراً لكثير من متاعبهم .



ان وضع الطفل بالنسبة لأبويه يختلف باختلاف الآباء كما يختلف باختلاف الأبناء . حتى في العائلة نفسها . فقد يرى طفل انه فرد مهمل لا تلبى طلباته . وتقابل بالرفض التام بينما يرى أخاه يحتل مركزاً مرموقاً في العائلة . مرضياً عن وضعه فيها ، وذلك كله بسبب تصوره الخاص عن نفسه ومركزه . وبسبب ما يلقونه من معاملة لها أثرها في تحويل الطفل إلى اتجاه مرغوب فيه أو مرغوب عنه . ويخلق الآباء مشكلة لابنائهم نتيجة لما يظهر في سلوكهم تجاههم من تباين وتناقض . فهم يقبلون أحياناً سلوكاً معيناً من طفل ويرفضونه من آخر ، كما يقبلونه في حالة معينة ، ويرونه يستحق العقاب في حالة أخرى . الأمر الذي يولد عندهم شعور اللامبالاة تجاه عدم الرضى عن تصرفاتهم .

وقد يرزق الاطفال بآباء يفرضون حمايتهم على ابنائهم من كل ما يخشون منه أذى أو او ازعاجاً ، فتراهم ينبرون للدفاع عنهم . ويسارعون في تبرير تصرفاتهم . وهم بذلك يؤيدون تصرفات ابنائهم ويقرونهم عليها مهما كانت .

وقد يصعب على الطفل ان يلتزم بالنظام والقانون اذا لم يمارس المسؤولية ، وأحاطه أبوان لا يقران النظام ولا يحترمانه . كما يصعب على مثل هذا الأب الذي يخرق النظام ولا يعترف بحقوق الآخرين ان يلوم ابنه اذا ما قام الابن بأعمال مماثلة ، فالأم التي تتيح لطفلها العبث بأثاث الغير . دون أن تبيح ذلك باثاثها . تترك طفلها نهباً للشك الناجم من تناقض تصرف الأم معه .

لقد علمتنا التجربة ان الطبيب يحتاج إلى بعض الوقت لتشخيص مرض . ومعرفة اعراضه ولكن علاج هؤلاء قضية معقدة تحتاج إلى زمن طويل بسبب عدم تعاون الآباء أو حتى بسبب مقاومتهم الفعالة لأي خطوة على طريق الاصلاح . ومن هنا يتضح ان أي تغيير في سلوك الأبناء يستدعي بالضرورة تغييراً في سلوك الآباء . ومن الأجدى ان يحدث ذلك بالتعاون المستمر معهم .

ان سلوك الطفل يعكس نوع الشخص الذي نشأه ، وتربى على يديه . اذ يستحيل أن نتوقع تغيراً ملحوظاً في الشخصية بما فيها من طباع واتجاهات خلال يوم وليلة . ولا بد لأي تغيير يحدث من حصول أمرين هامين هما الزمن الكافي والتعاون المثمر ولن يحصل الا بهما معاً .

البنات والانحراف

من الحقائق المعروفة في تاريخ الانحراف ، اهتمامه بهذه المسأله كشيء يخص الذكور دون الاناث ، وذلك لأن نسبة المنحرفين من الذكور تفوق مثيلتها من الاناث . والبنات كالأولاد سواء بسواء يتأثرن بالمحيط ، وان كن أكثر منهم اعتماداً على البيت وعلى العلاقة مع الوالدين . وتستطيع البنت ان تستمد تجربتها واستقرارها من البيت والمحيط لتحل بهذه التجربة وهذا الاستقرار ما قد تواجهه من مشاكل . ولن ينحرف سلوكها إلا إذا شعرت بأن البيت غير قادر على تلبية حاجاتها واشباع دوافعها ومن هنا كانت علاقة البنت بأمها أكثر أهمية وأعمق دلالة من علاقة الأم بالابن . فكثير من حالات الشذوذ أثبتت اضطراباً في العلاقات بين البنت وأمها .

الرقابة والانحراف

قد يكون السلوك المنحرف سبباً من عدم الرقابة الكافية أو غيابها ، فالطفل الذي يلقى تسامحاً زائداً ، ويفتقر إلى المسؤولية ، ولم يتحرر من التبعية لغيره . هو طفل لديه أسباب قوية للانحراف اذا ما غاب عن سمع العائلة وبصرها .

ولا تعني الرقابة هنا ما يفرضه الأب على طفله من نظام او قيود وعقوبات فحسب ، وانما تعني أيضاً رقابة المجتمع له من حوله ، كما تعني رقابته هو التي يفرضها على نفسه ، بوحي من ذاته ، ووازع من ضميره . وهذه جميعاً ضرورية في تنشئة الطفل وتربيته .

ولكن ماذا تقول عن الطفل الذي يسلك سلوكاً سوياً رغم انه محاط بأطفال منحرفين ؟

قد يقول البعض ان الفقر سبب في الانحراف وقد يقول آخرون غير ذلك ، إلا أنه وجد ان بالامكان ابعاد الطفل عن الانحراف اذا ما قمنا بتلبية دوافعه واحتياجاته ، ولا يذهب بنا التفكير في هذا المقام إلى المسارعة في تلبية تلك الحاجات حيثما كانت وكيف كانت ، فالطفل الذي يحظى بذلك من والديه هو تربة خصبة للانحراف .

لقد جرت دراسة حول هؤلاء عن طريق المقابلة الشخصية ، ومقابلة آبائهم ومعلميهم فوجد انهم سلموا من الانحراف نتيجة اضطلاع الأم المباشر وعزلهم عمن جاورهم من المنحرفين ، فضلاً عن ان حياتهم في البيت كان يسودها الانسجام في ظل من الأمن والاستقرار بشكل يلبي لهم دوافعهم ويرضي احتياجاتهم ، وقد يبدو ان الرقابة التي يمارسها الوالدان بشكل معقول على أطفالهم والفرصة المتاحة للطفل ليمارس المسؤولية تلعب دوراً هاماً في إبعاده عن الانحراف •

محمد عبد الرحيم عدس — الأردن

من وحي المشيب

للدكتور: عزيز عون

تصرّم سبع بعد سبعين حجة   من العمر مرت بي كجرد رهان
أطاحت بها الأقدار فانجاب شملها   وولّت لياليها كسحب دخان
عجالى فلم أشعر بها حين أدبرت   كأن سنيّ العمر بضع ثوان
فرحت أناجي النفس أسبر غورها   وما قد عفا من دارسات زماني
فما راعني كرّ الليالي وفرها   وإعراضها عن خاطري وعياني
وما زعزعت أركان عزمي وهمتي   ولا زلزلت حزمي ورفعة شاني
ولا غيّضت فضلي وأنداء راحتي   وصدق وفائي وانفتاح جناني
كأني فتى قلباً وذهناً ونخوة   وقد فاتني عهدُ الصبا وعداني
جسوراً أبياً يأنف الذل والخنى   عنيداً اذا الخطب الغشوم دهاني
وان رشقتني العاديات بسهمها   أكيل لها عند اللقاء ثماني
واطمح يضويني المشيب ورائدي   أصالة نفس لم تشب بهوان
ولي أدب عالي الرتاج حفظته   وظلّ خيالي مشرقاً وبياني
تعودت غوث البائسين ولم أزل   عطوفاً على بأسائهم متفاني
امد لهم كفّ المعونة مشرعاً   وامحضهم حبي وفيض حناني
أجود بأوقاتي ومالي وراحتي   لأدفع عنهم غائل الحدثان
وما الطب الا بلسم الضيم والاسى   وسلوى فؤاد واهن الخفقان
أمارسه لا أرتجي الكسب والغنى   بل الأجر من ربي رضى وكفاني
تقادم سني لم ينل من صلابتي   وصائب رأيي أو فصيح لساني
وما طوّح الشيب الملم بجرأتي   ونبلي وايماني وثبت كياني
وما زلت تواقاً إلى الانس والصفا   وصوت رخيم او صداح كمان
تطالعني الاحلام ريانة الروى   مذهّبة الأبراد في ريعان
وتُجلي لي الآمال وضّاءة السنى   مبلجة الأهداف طوع بناني
أحن إلى روض الهنا وارف المنى   نضير الأماني والحظوظ دواني
ظليلا تغنّيه الحمائم سجّعاً   وينعشه صوب الغمام العاني
تبرّج بالنور الفتيق مزخرفاً   بورد نديّ الخد احمرقاني
وأغصانه الملد الرطابَ تهدّلت   ومالت مع الانسام في ميدان
وانفاسه لما تفتق عرفها   ذكت كأريج ضائع الفوحان
وما شاخ الا من تهدم عزمه   وأضحى كثير السهو والنسيان
تداعت مفاهيم الحياة برأسه   وبات أسير السقم والهذيان
يدب على العكاز مرتعش الخطى   شرود النهى جهم الملامح واني
يغالب اعصار المشيخة واهياً   هزيلا صريع الوهن والرجفان
وان امتداد العمر ليس بموهن   سوى مهجة لكلى بصدر جبان
واني بعون الله مستكمل القوى   نشاطاً وادراكاً وضبط عنان

د. عزيز عون — بيروت



يشحن الزيت الخام من فرضة الظهـ[illegible]

إن الزيت الخام الذي تنتجه شركة [illegible]

[illegible]

فيشحن إلى البحرين وإلى القيصومة الواقعة شمال شرقي المملكة العربية السعودية والتي منها يبدأ خط الأنابيب عبر البلاد العربية «تابلاين» الذي يمتد إلى ميناء صيدا بلبنان على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.



ة في المياه العميقة بالخليج العربي .

فرضة الجعيمة التي انشأتها ارامكو في المياه العميقة بالخليج العربي لتحميل الناقلات بالزيت .

الفرضة البحرية

تعتبر فرضة أرامكو البحرية في رأس تنورة من أكبر موانيء الزيت في العالم وأكثرها ازدحاماً . ولعلها أكبر الموانيء المخصصة لشحن البترول وحده . ففي عام ١٩٧٤ ، حملت ٤٣١٤ سفينة ما مجموعه ٢٧٤٧ مليون برميل تقريباً من الزيت الخام والمنتجات المكررة إلى الأسواق في ٦٩ بلداً .

وتشغل الفرضة الطرف الجنوبي من شبه جزيرة في الخليج العربي وسّعت أرامكو مساحتها بردم جزء من البحر . ومع أن هذه الفرضة ليست مرفأ طبيعياً ، إلا أن عمق الماء فيها يكفي لرسو السفن في عرض البحر .

وتشغل ساحة الخزانات الجزء الأكبر من أرض الفرضة . وقد أقيم في هذه الساحة ٩٦ خزاناً للمواد الهيدروكربونية بأشكال وأحجام مختلفة ، وطلي معظمها باللون الفضي اللماع . وتتلقى هذه الخزانات ما يرد اليها من الزيت الخام ومنتجات معمل التكرير .

وفي أوائل عام ١٩٧٥ ، بلغ مجموع سعة خزانات فرضة رأس تنورة من المواد الهيدروكربونية ٢٦٠٠٠٠٠٠ برميل ، ومن هذه الخزانات خمسة للزيت الخام سعة كل منها مليون برميل . وخزانان سعة كل منهما ١,٢٥ مليون برميل . ومعظم الخزانات الضخمة يقع في منطقة جديدة تعرف باسم منطقة شمالي الفرضة بين معمل التكرير والفرضة الأصلية . وجميع الخزانات الكبيرة ذات ارتفاع واحد هو ١٩.٥ متراً . ولكن أقطارها مختلفة فبعضها يبلغ ١٠٨ أمتار والبعض الآخر ١١٤ متراً ، ولها شكل اسطواني وسطوح عائمة لمنع تبخر الغازات المتطايرة . وهناك خزانات أخرى لها سطوح مخروطية الشكل تستعمل في الحالات التي لا تسبب الغازات المتطايرة أية مشكلة ، بينما تستعمل الخزانات شبه الكروية للمنتجات التي تتطاير بسرعة عالية جداً .

وتنقل المنتجات والزيت الخام من الخزانات الى المراسي بواسطة شبكات تحميل تتألف من أنابيب سحب ممتدة من الخزانات إلى المضخات ومن أنابيب تفريغ ممتدة من المضخات إلى الأرصفة . وهناك ١٥ شبكة لتحميل الزيت الخام وشبكة تحميل واحدة على الأقل لكل واحد من المنتجات ، بالاضافة إلى أنابيب وقود السفن الممتدة إلى كل رصيف .

وهناك معمل لتبريد غاز البترول السائل وتخزينه يقع في ساحة خزانات الفرضة . وفي هذا المعمل يبرّد البروبان والبوتان السائلان الواردان من منشآت المعالجة في معمل التكرير ويخزنان في خزانات كبيرة معزولة على درجة ضغط تقارب درجة الضغط الجوي العادي . ويضخ البروبان والبوتان إلى سفن مصممة خصيصاً لنقل غاز البترول السائل المبرد يجري تحميلها في الرصيف الشمالي ، أو إلى محطة للمزج لاعداد شحنات من الزيت الخام الممزوج بغاز البترول السائل .

أرصفة تحميل الزيت

هناك رصيفان ممتدان في مياه الخليج كل منهما على شكل « T » ويبعد الواحد منهما عن الآخر ما يزيد قليلاً على كيلومتر واحد . ورأس كل منهما — حيث ترسو الناقلات — في موازاة الشاطىء تقريباً . وقد أنشيء الرصيف الجنوبي قبل الشمالي وهو أصغر منه ، ويبلغ طول الطريق عليه ٧٠١ من الأمتار وطول رأسه ٣٦٦ متراً وعرضه ٣٢ متراً ، وفيه مراس لاستقبال الناقلات التي تصل حمولتها الساكنة إلى ٣٠٠٠٠ طن . ويتراوح عمق الماء فيه بين ٩,٩ أمتار و ١٠,٠٦ أمتار وقت الجزر . ولكن ارتفاع الماء وقت المد يسمح بتحميل ناقلات أكبر . وفي الوقت الحاضر يستخدم الرصيف الجنوبي بصورة رئيسية لتحميل المنتجات المكررة ، مع أنه يحتوي على خط أنابيب صغير نسبياً للزيت الخام وأنابيب لوقود السفن .

أما الرصيف الشمالي ففيه ستة مراس . ويمتد الطريق عليه مسافه ١٠٩٧.٢ متراً من الشاطىء ، ويبلغ طول رأسه ٦٧٠,٦ متراً وعرضه ٣٣,٥ متراً . ويختلف عمق الماء بين مرسى وآخر اذ يتراوح بين ١٢.٨ متراً و ١٥.٢ متراً وقت الجزر . وقد صممت المراسي بصورة رئيسية لاستقبال ناقلات الزيت الخام والمنتجات وغاز البترول السائل التي تصل حمولتها الساكنة إلى ١٠٠٠٠٠ طن . وتمد الرصيف الشمالي بالزيت الخام ست شبكات يبلغ مجموع طاقتها ١٥٠٠٠٠ برميل في الساعة .

ومن المنتجات التي تحمل من الرصيف الشمالي، زيت الوقود ، والنفتا ، ووقود النفاثات ، والديزل الأبيض ، وغاز البترول السائل المبرد ، ووقود السفن . ومعظم المراسي مزود بأذرع « تشيكسان » ، وهي أجهزة معدنية ذات مفاصل تشغل هيدروليكياً لتحميل الزيت الخام والمنتجات .

وفي خليج تاروت على الجانب الغربي من شبه الجزيرة رصيف صغير يستخدم لتزويد السفن الصغيرة بالوقود ولتحميل الناقلات الساحلية . وفي الجهة نفسها إلى الجنوب يقع رصيف آخر تربط به قوارب السحب والزوارق التابعة للشركة عندما لا تكون قيد الاستعمال . كما يستخدم كقاعدة تموين لأعمال الحفر التي تجريها أرامكو في المنطقة المغمورة ، وكقاعدة للرافعة الكبيرة العائمة التي تستعملها الشركة في أعمالها البحرية لرفع الأحمال الثقيلة .

الجزيرة الاصطناعية

تقع هذه الجزيرة في عرض البحر على بعد حوالي ١٧٠٧ أمتار إلى الشمال الشرقي من الرصيف الشمالي ، أو ٣٢٠٠ متر من الشاطىء . وتهييء الجزيرة الاصطناعية مراسي لثماني ناقلات تتراوح حمولتها الساكنة بين ٦٠٠٠٠ و ٥٠٠٠٠٠ طن .

أقسام الجزيرة الاصطناعية

وتتراوح أطوال أقسام الجزيرة الاصطناعية بين ٣٨١ و ٥٣٣ متراً ، ويبلغ مجموع أطوالها ١,٨ كيلومتر وهي تقوم على ركائز في قاع البحر أقيمت على عمق يتراوح بين ٢٥,٩ متراً و ٢٧,٤ متراً . وفي كل قسم منصة مركزية تحتوي على معدات للتحميل وغرفة للمراقبة . والجزيرة مزودة بأرصفة لرسو الزوارق الصغيرة كما أن أقسامها متصلة بعضها ببعض بجسور معدنية ذات قضبان حديدية مشبكة .

ويرد الزيت الخام إلى الجزيرة الاصطناعية عبر ثمانية خطوط لتحميل الزيت الخام ممتدة تحت الماء تتراوح أقطارها بين ٧٦.٢ سنتيمتراً و ١٢١.٩ سنتيمتراً ويبلغ مجموع طاقتها ٦٨٠٠٠٠ برميل في الساعة تقريباً . وهناك أيضاً خطوط أنابيب لوقود السفن وخطوط للكهرباء والمواصلات مدت اليها من الشاطىء .

وتبلغ أطوال أذرع التحميل « تشيكسان » على الجزيرة الاصطناعية ١٨,٣ ، ٢١,٩ ، ٢٤,٤ ، ٢٧,٤ متراً ولذا يمكن بواسطتها تحميل أكبر الناقلات .

الظلوف

في أوائل عام ١٩٧٣ دشّنت أرامكو مرافق جديدة لتحميل الزيت اقامتها في المياه العميقة في الظلوف في الخليج العربي على مسافة ٦٤ كيلومتراً من الشاطىء . وقد صممت هذا المرافق لتحميل الزيت الخام من حقلي الظلوف ومرجان المغمورين على ظهر الناقلات مباشرة .

وتتألف مرافق تحميل الزيت في الظلوف بصورة رئيسية من عوامتي إرساء برباط مفرد ، ومعملين لفرز الغاز من الزيت في المنطقة المغمورة ، وسفينة التخزين العائمة « ف . أ . ديفز » التي تبلغ سعتها ١٨٠٠ ٠٠٠ برميل ، بالاضافة إلى خطوط أنابيب الزيت اللازمة الممتد بعضها تحت الماء وبعضها عائم .

ويجري الزيت الخام من الآبار أولاً إلى معمل فرز الغاز من الزيت حيث تزال منه الغازات المتطايرة ومن ثم إلى السفينة « ف . أ . ديفز » حيث يضخ الزيت منها إلى الناقلة .

وقد ثبتت كل من العوامتين المذكورتين في مياه يزيد عمقها على ٣٠,٥ متراً وهو عمق يكفي لتحميل ناقلة تصل حمولتها الساكنة إلى ٥٠٠ ٠٠٠ طن . ويبلغ قطر كل عوامة ١٢,٢ متراً وارتفاعها ٤,٦ أمتار ووزنها ٢٥٣ طناً . وهاتان العوامتان متصلتان بواسطة الخراطيم بأنابيب متعددة الفتحات مثبتة في قاع البحر . ويبلغ طول الخراطيم الممتدة تحت كل عوامة ٧٠ متراً وقطرها ٦١ سنتيمتراً ، مما يسمح بتسليم الزيت بطاقة تقرب من ٨٠ ٠٠٠ برميل في الساعة .

الجعيمة

بدأ استعمال أحدث منفذ على الخليج لشحن منتجات أرامكو في شهر نوفمبر ١٩٧٤ عندما حملت أول شحنة من الخام العربي الخفيف من المنطقة المغمورة في هذا المرفق على الناقلة « اسو اندونيسيا » التي تبلغ حمولتها الساكنة ٢٥٧ ٠٠٠ طن . ومن المقدر لهذه الفرضة التي بلغت طاقة التحميل فيها في ربيع عام ١٩٧٥ مليوني برميل في اليوم ، أن تنافس الفرضة في رأس تنورة في طاقة تحميل الزيت الخام . وتقع هذه الفرضة في عرض البحر في الجعيمة على بعد ٢٤ كيلومتراً على الساحل إلى الشمال الغربي من ميناء الشركة الأصلي .

هذا ويجري انشاء فرضة الجعيمة على مراحل متعاقبة حتى يصل حجمها إلى الحد المطلوب الذي يتقرر على ضوء احتياجات المستقبل والعوامل الاقتصادية . وأبرز منشآت هذا المرفق على اليابسة خزانات سعة الواحد منها ١,٢٥ مليون برميل من الزيت الخام تم تجهيز ثلاثة منها عندما اكتملت مرحلة الانشاء الأولى ، وثلاثة أخرى ضمن المرحلة الثانية بالاضافة إلى خمسة خزانات أخرى سيتم انجازها في وقت لاحق من عام ١٩٧٥ . ويبلغ ارتفاع كل من هذه الخزانات ذات السطوح العائمة ٢٢ متراً ، أي ما يعادل علو عمارة من ستة طوابق ، وقطره ١٠٧,٣ أمتار .

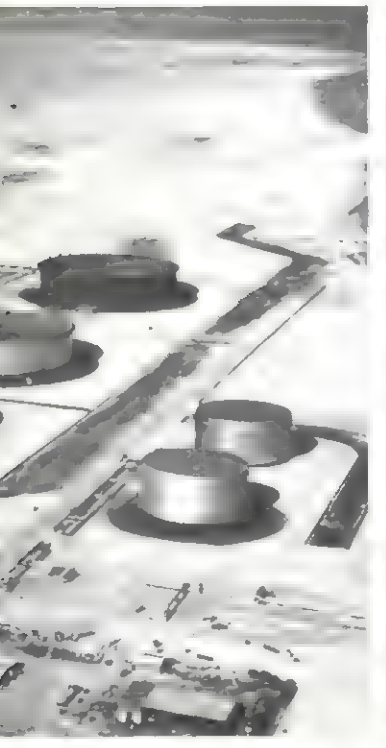
وتعبأ الخزانات الضخمة وتفرغ بواسطة أنابيب تتراوح أقطارها بين ١٢١,٩ سنتيمتراً و ١٥٢,٤ سنتيمتراً تمتد شمالاً وجنوباً في منطقة ساحة الخزانات . أما خزانات وقود السفن فتعبأ بواسطة خط أنابيب يمتد مباشرة من معمل التكرير في رأس تنورة .

ولدفع الزيت من الخزانات الموجودة على الشاطىء إلى مرافق الشحن فقد جرى تركيب مضخات قوية اضافية في منطقة الخزانات طول الواحدة منها ٦,١ أمتار ، كل زوج منها في مجموعة واحدة . وتسحب كل مجموعة الزيت من أربعة خزانات وتضخه نحو الشاطىء إلى مضخات الشحن التي هي أكبر مضخات من نوعها في أرامكو وتديرها محركات قوتها ١٦ ٠٠٠ حصان . وبفضل هذه القوة الكبيرة للمضخات لم تعد هناك حاجة لمزيد من الضخ في الأماكن المغمورة .

ومن المنشآت الأخرى على اليابسة في فرضة الجعيمة غرفة مراقبة يعمل المشغلون فيها باستمرار لتنظيم أعمال الفرضة على اليابسة . وعلى بعد ٩,٧ كيلومترات من غرفة المراقبة يقع رصيف لرسو القوارب الصغيرة التي تنقل عمال النوبات من أماكن سكنهم إلى أماكن عملهم في البحر طوال الليل والنهار .



الناقلة « جلوبتيك طوكيو » لدى شحنها بالزيت الخام من فرضة الجعيمة بالمنطقة المغمورة .













١ – الرصيف الشمالي من فرضة رأس تنورة البحرية ، وهو مزود بستة مراس لاستقبال ناقلات الزيت .

٢ – الناقلة العملاقة « بالاس طوكيو » لدى تحميلها بشحنة من غازي البوتان والبروبان في فرضة رأس تنورة البحرية . وهي من أكبر ناقلات غاز البترول السائل في العالم .

٣ – الناقلة « اسو اندونيسيا » أول ناقلة جرى شحنها بالزيت الخام من فرضة الجعيمة بالخليج العربي

٤ – منظر جوي لمرافق معمل التكرير في رأس تنورة.

٥ – منظر جوي لساحة الخزانات التابعة للفرضة البحرية في رأس تنورة .

عملهم في البحر طوال الليل والنهار .

يمتد من مضخات الشحن الضخمة إلى الماء خطان من الأنابيب لتحميل الزيت الخام قطر كل منهما ١٤٢,٢ سنتيمتراً ، وسيضاف اليهما خطوط أنابيب أخرى في مراحل الانشاء القادمة . ويمتد هذان الخطان في خندق طوله ١,٦١ كيلومتر وعرضه ٢١,٣ متراً شق في الصخور المرجانية في قاع البحر إلى أن يصلا إلى المياه العميقة . ويمتد خطا أنابيب التحميل مسافة ١١,٢ كيلومتراً إلى منصتين يمكن رؤيتهما من الشاطىء عندما يكون الجو صافياً .

وهناك منصة للزيت وأخرى للمراقبة قائمتان على ركائز في مياه عمقها ١٣,٧ متراً في الخليج يصلهما جسر طوله ٤٥,٧ متراً . وتوجد على منصة الزيت المؤلفة من طابقين ، عدادات لقياس الزيت الذي يدفع عنه الريع والذي يسلم للتصدير ، وأجهزة معايرة للتحقق من دقة هذه القياسات . كما تقيس مجموعة منفصلة من العدادات الكميات المسلمة من وقود السفن لإعداد الفواتير . أما المنصة الثانية التي تحملها ركائز قريبة من الأولى فهي منصة مراقبة أعمال الأماكن المغمورة في الجعيمة وتحتوي على لوحات المراقبة ، ومعدات اللاسلكي للمواصلات ، ومساكن للمشغلين يستعملونها عندما يضطرون للبقاء على المنصة بعد نوبات عملهم المعتادة بسبب سوء أحوال الطقس .

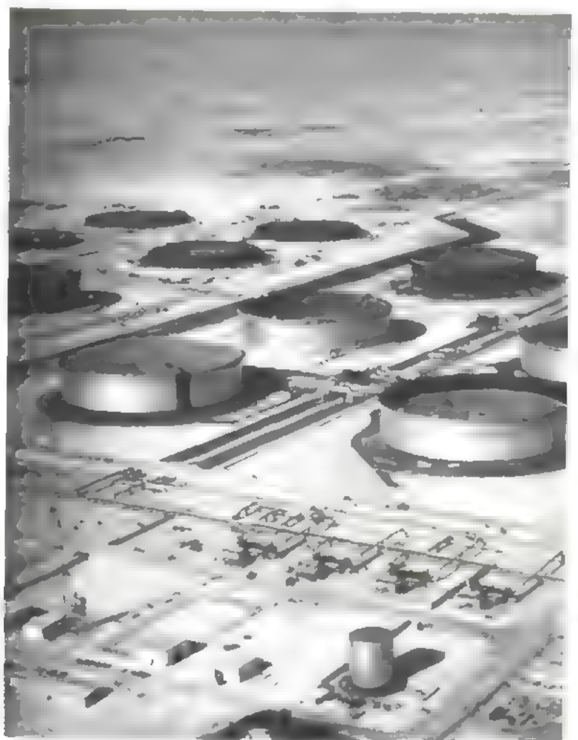
وكما هي الحال في الظلوف يتم التحميل في الجعيمة بواسطة شبكة عوامات ارساء برباط مفرد . وكانت هناك عوامتا ارساء برباط مفرد جاهزتان للعمل عند افتتاح هذه الفرضة . واحدى عوامتي الارساء المذكورتين ، وتبعد حوالي ٢٤٣٨ متراً عن منصة العدادات . متصلة بخطي أنابيب تحميل قطر كل منهما ١٠٦,٧ سنتيمتراً وخط أنابيب مواز لهما قطره ٤٠,٦ سنتيمتراً لتحميل وقود السفن . أما عوامة الارساء الأخرى التي تبعد حوالي ٣٣٥٢ متراً فمتصلة بمنصة العدادات بخطي أنابيب تحميل قطر كل منهما ١٢١,٩ سنتيمتراً وخط أنابيب قطره ٤٥,٧ سنتيمتراً لتحميل وقود السفن . وتشكل عوامتا الارساء المذكورتان جزءاً من مجموعة من العوامات ستضاف في المستقبل بحيث تبعد الواحدة عن الأخرى ١,٦ كيلومتر على الأقل .

التخطيط قبل وصول الناقلات

يتطلب تحميل الناقلات في فرض أرامكو البحرية الثلاث في الخليج العربي عدة أسابيع من التخطيط والتنسيق بين أقسام كثيرة في الشركة . وبالنسبة إلى فرضة رأس تنورة ، يؤكد مكتب أرامكو في نيويورك قبل عدة اسابيع من التاريخ المتوقع للتحميل قدرة الشركة على الوفاء باحتياجات آخذي الزيت من المنتجات المكررة . وعلى أساس هذه المعلومات توضع الخطة لتشغيل معمل التكرير في رأس تنورة .

وقبل بداية الشهر الذي يتم فيه بالفعل اسالة المنتجات وتسليمها ، يعين الزبائن ما يريدونه من الزيت الخام ، والمنتجات المكررة ، ويحددون اسم الناقلة ونوع وكمية الحمولة ، واسم آخذ الزيت والجهة المقصودة ، والتاريخ التقريبي لوصول الناقلة . ويتم التسليم الفعلي للزيت الخام والمنتجات المكررة على الفرض المختلفة على أساس المواعيد المقررة لوصول الناقلات ، والكميات الموجودة في كل فرضة ، وهذه تجري مراجعتها باستمرار في مكتب التخطيط في الظهران وتعدل حسب ما يلزم .

وبعد ادخال جميع الناقلات المتوقع وصولها إلى الفرض البحرية في الحساب ، يخصص مكتب التخطيط لكل ناقلة مرسى معيناً أو عوامة ارساء في الأماكن المغمورة بحيث تتوفر المرافق اللازمة لضمان تزويد الناقلة باحتياجاتها من الزيت على أفضل وجه . ويقتضي هذا المواءمة بين حجم الناقلة والحمولة المعينة وسرعة التحميل المطلوبة وخطة تحميل الشحنات وبين المراسي والكميات الموجودة وشبكات التحميل والسحب .



منظر جوي لساحة الخزانات في فرضة الجعيمة .



جانب من خط « تابلاين » الذي يبدأ من القيصومة وينتهي في ميناء صيدا بلبنان على البحر الأبيض المتوسط .

حركة السفن

تسلك السفن في اقترابها من رأس تنورة والجعيمة ممراً بحرياً شمالياً يلامس الطرف الشمالي من مغاص اللؤلؤ الكبير قرب ساحل المملكة العربية السعودية .

وينتهي ممر رأس تنورة في غاطس يقع شرق رأس تنورة ، تقف فيه السفن ليصعد عليها المرشدون . ولا يقل عمق الماء في ممر الاقتراب عن ٦٤ قدماً (١٩.٥ متراً) في حين ان ممر المغادرة قد جرف قاعه إلى عمق لا يقل عن ٧١ قدماً (٢١.٦ متراً) باستثناء منطقة ضحلة قرب الميناء يصل فيها العمق إلى ٦٩ قدماً (٢١ متراً) .

أما السفن المتجهة إلى مراسي الجعيمة فتدخل منطقة مماثلة عبر الممر الشمالي حيث لا يقل عمق الماء عن ٧٦ قدماً (٢٣.١ متراً) . وتغادر السفن الجعيمة عبر ممر مستقل غير محدود العمق . وقد حددت الممرات المذكورة بعلامات واضحة تتألف من فنارات وعوامات ارساء تعكس الرادار . ولذلك لا تحتاج السفن إلى مرشدين لعبورها .

وعندما تصل السفينة إلى منطقة الغاطس يصعد اليها مرشد من أرامكو ليوجهها مباشرة إلى المرسى أو تقف في الغاطس حسب التعليمات التي تتلقاها باللاسلكي من مكتب المرشدين التابع لأرامكو . وفي حالة توقع حدوث تأخير تعين مراسي انتظار للسفن خارج الممرات الرئيسية منعاً للازدحام في أماكن مناورة السفن قرب مرامي الأرصفة . وتم مؤخراً توفير خدمات ارشاد بواسطة الرادار بدأ تشغيلها في توجيه السفن التي تدخل رأس تنورة عبر ممرها الشمالي .

ويشرف مرشدو السفن في أرامكو على جميع تحركات السفن القادمة إلى مرافق التحميل التابعة لأرامكو والمغادرة لها . ولدى أرامكو الآن في رأس تنورة قوارب سحب تتراوح طاقتها بين ٢٠٠٠ و ٤٠٠٠ حصان . بالاضافة الى قوارب تساعد في عمليات ارساء السفن وحل رباطها في الجعيمة .

وتخضع ناقلات الزيت لقواعد صارمة تهدف إلى منع التلوث وضمان السلامة . فلا يسمح لها بافراغ صابوراتها أو نفاياتها في الماء ، كما انها تلزم بابقاء محركاتها وآلات دفعها جاهزة لمغادرة المراسي على عجل تحسباً للطوارىء ، ولا يسمح لها بالقيام بأية اصلاحات قد تعرقل تطبيق هذه القواعد . ومعدات اطفاء الحريق متوفرة على الأرصفة وقوارب السحب

ويقوم مفتشو السلامة في أرامكو ، قبل البدء في أعمال التحميل وأثناءها ، بالتعاون مع المسؤولين في السفينة ، بالتفتيش على عدد من الأمور المتعلقة بالسلامة . كما يصعد موظفون من الحكومة السعودية إلى السفينة للتأكد من تطبيق أنظمة الحجر الصحي والجمارك على الوجه الصحيح .

وتجري الاختبارات على الناقلات لتحديد مدى الخطر الذي تتعرض له هذه الناقلات باستعمال مختلف أنواع أجهزة تصريف الغازات الهيدروكربونية . وفي ضوء نتائج هذه الاختبارات تقدم التوصيات باستعمال الأجهزة الأكثر أماناً متى كان ذلك ضرورياً . كذلك يمكن ايقاف المضخات والصمامات عن العمل فوراً في حال حدوث تسرب أو في الحالات الطارئة وذلك بواسطة مفاتيح تقع في محطات مراقبة التحميل على الأرصفة وفي غرف المراقبة في مراسي الجزيرة الاصطناعية في رأس تنورة وفي الجعيمة . أما اذا ارتفع الضغط في شبكة تحميل الزيت الى درجة خطرة فيتوقف تحميل الزيت تلقائياً .

مراقبة التحميل

بلغ متوسط الوقت الذي ينقضي بين وصول الناقلة ومغادرتها ٥٠.٧ ساعة . ولا تدخل في هذا المتوسط سفن التجارة الساحلية والسفن الأخرى التي تدخل الفرضة للتزود بالوقود فقط .

وتتراوح سرعة تحميل الناقلات بين ٣٠٠٠٠ برميل في الساعة في المراسي القديمة و ٢٠٠٠٠٠ برميل في الساعة في الجزيرة الاصطناعية رقم ٤ . وتبلغ سرعة التحميل في مراسي عوامات الارساء ذات الرباط المفرد في الجعيمة ١٤٠٠٠٠ برميل في الساعة . غير أن سرعة التحميل الفعلية تتقرر على أساس الحد الأعلى الذي تطلبه الناقلة . ولكن هناك عوامل تحد من تلك السرعة منها ، طاقة أذرع التحميل وعدد المضخات المتوفرة وكميات الزيت المخزون واعتبارات السلامة .

رأس تنورة

يمكن تحميل منتجات مختلفة في آن في أكثر مراسي الفرضة والجزيرة الاصطناعية في رأس تنورة . ويجري عادة تشغيل ١٤ شبكة تحميل مختلفة يتم بواسطتها شحن أربعة أنواع من الزيت الخام على الناقلات في المراسي المختلفة . بالاضافة إلى ذلك ، تسلم حمولات ممزوجة ، كلما أمكن ، بطريقة « المزج النهائي » ، أي بنقل كميات من أنواع مختلفة بواسطة أنابيب منفصلة وبنسب دقيقة تمتزج في خزانات الناقلة .

غير أن بعض خلطات الزيت والمنتجات تمزج في خط الأنابيب . أما عند تحميل الخام « المقوى » ، وهو مزيج من الزيت الخام وزيت البترول السائل ، فأهم ما يجب مراعاته هو المحافظة على صفة التجانس . وتستعمل لذلك آلات المزج على اليابسة . ويفحص المزيج باستمرار للتأكد من أنه « لا يغلي » (لا تنبعث منه أبخرة) . وتستطيع السفن أن تتزود بالوقود في جميع المراسي .

ويجري تحميل المنتجات المكررة المفرزة وغاز البترول السائل المبرّد من مراسي مخصصة لأصناف المنتجات المختلفة في الرصيفين الشمالي والجنوبي . لأن تحميل هذه المنتجات يتطلب تدابير وقائية اضافية واجراءات دقيقة لمراقبة الجودة .

الجعيمة والرصيف

الجعيمة هي امتداد لفرضة رأس تنورة ، والمرفقان على درجة كبيرة من التكامل . ومرتبطان بخط أنابيب يعمل في اتجاهين ويصل بين ساحات براميل التخزين في المرفقين تحقيقاً لمرونة التشغيل .

وقد صمم مرفق الجعيمة لتحميل أكبر ناقلات الزيت التي تبلغ حمولتها الساكنة ٥٠٠٠٠٠ طن مهما بلغ غاطسها . ويبقى مرشدو السفن وممثلو الفرضة على متن الناقلات أثنـــاء تحميلها لتأمين الاتصال بين الناقلة والشاطىء ولمعاينة معدات الوقاية على الناقلات والتأكد من كمية الزيت المعبأة في الناقلة بعد انتهاء تحميلها .

وتختلف مراسي الجعيمة عن مراسي الجزيرة الاصطناعية والفرضة من مراكز الارساء الثابتة في رأس تنورة بكونها عوامات ارساء برباط مفرد . وتحتاج الناقلات التي ترسو عند هذه العوامات إلى مساعدة قوارب ربط الحبال فقط .

ويجري في الجعيمة تحميل كل نوع من أنواع الخام على حدة ، فعندما تحتاج الناقلة إلى أكثر من نوع من الخام يدفع الزيت المتبقي في الأنبوب من أحد الأنواع باتجاه الشاطىء قبل أن يبدأ ضخ النوع التالي . وتستطيع السفن أن تتزود بالوقود في جميع المراسي ويمكن أن

تجري تعبئة الوقود أثناء عملية تعبئة الحمولة . أما مرافق الظلوف فهي أقصى مرافق التحميل التابعة لأرامكو شمالاً ، وهي ، كالجعيمة ، معدة لتحميل الناقلات الضخمة في مراسي عوامات الارساء ذات الرباط المفرد . ومع أن الشحن من مرافق الظلوف قاصر على نوع واحد من الخام ولا يتوفر فيها وقود للسفن إلا أن أساليب الارساء والتحميل والمغادرة المطبقة فيها مماثلة لتلك المتبعة في الجعيمة .

تابلاين

يجري منذ أكثر من ٢٥ عاماً نقل كميات متفاوتة من الزيت الخام الذي تنتجه أرامكو من مرافق على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط عبر خط أنابيب يمتد مسافة ١٦٠٠ كيلومتر عبر اربعة بلدان عربية . وقد اختير هذا الطريق البري المختصر كبديل اقتصادي لطرق بحرية أطول كثيراً بين الخليج العربي وأسواق الزيت في الغرب تمر في قناة السويس أو حول أفريقيا . وقد بدأ انشاء خط الأنابيب في عام ١٩٤٧ وحملت أول شحنة من الزيت الخام السعودي على ناقلة في طرفه الغربي في صيدا بلبنان في ديسمبر ١٩٥٠ .

أسست شركة خط الأنابيب عبر البلاد العربية (تابلاين) التي تملكها أرامكو لنقل الزيت الخام إلى الميناء المذكور من القيصومة ، وهي محطة ضخ تقع في الشمال الشرقي من المملكة العربية السعودية يقاس فيها الزيت لاحتساب مبالغ الريع التي تدفع إلى حكومة المملكة العربية السعودية بعد أن يرد اليها الزيت من الحقول المنتجة الواقعة إلى الجنوب الشرقي منها بواسطة خط أنابيب تابع لأرامكو . وتبلغ الطاقة القصوى لخط « تابلاين » ٥٠٠ ٠٠٠ برميل من الزيت الخام في اليوم ، وهو يتألف بصورة رئيسية من أنابيب تتراوح أقطارها بين ٧٦,٢ سنتمتراً و ٧٨,٧٤ سنتمتراً ، ويمتد ١٢٠٦ كيلومترات ، وعليه عدد من المضخات لدفع الزيت إلى فرضة بحرية على البحر الأبيض المتوسط تديرها تابلاين .

ويمتد القسم الأكبر من خط الأنابيب ، وطوله ٨٦٧,٢ كيلومتراً ، عبر الجزء الشمالي من المملكة العربية السعودية حيث توجد محطة للضخ في القيصومة وثلاث محطات ضخ أخرى تبعد الواحدة منها عن الأخرى حوالي ٢٧٢ كيلومتراً في رفحاء وبدنه وطريف ، بالاضافة إلى ثلاث وحدات ضخ مساعدة أقيمت في أماكن متوسطة . ويدفع الزيت في خط الأنابيب للمرة الأخيرة في الرثتين بالأردن حيث توجد محطة لتقوية الضخ قبل أن يعبر سوريا ولبنان ثم يجري الزيت بقوة الجاذبية إلى صيدا الواقعة على مستوى سطح البحر . وينقل الزيت من الرثتين عبر خط أنابيب فرعي صغير إلى مصفاة البترول الأردنية في الزرقاء . وتقوم تابلاين أيضاً بتسليم كميات من الزيت الخام إلى شركة البحر الأبيض المتوسط للتكرير (مدريكو) التي تقع منشآتها إلى الجنوب قليلاً من صيدا .

وتربط محطات الضخ الأربع المقامة على مسافات متباعدة في المملكة العربية السعودية طريق برية معبدة . وتقوم تابلاين أيضاً بتسيير رحلات طيران منتظمة على الخط لنقل الموظفين والمواد الاساسية بسرعة .



أحد خطوط [illegible] رأس تنورة

تصوير : برنت مودي ، وشيخ أمين

فرضة صيدا

عندما يقترب الزيت الجاري في خط أنابيب « تابلاين » من نهاية رحلته بالنزول على أحد الجبال اللبنانية تعمل شبكة من مواسير الاحتكاك على تخفيض ضغط الزيت لتمكينه من دخول الخزانات في الفرضة البحرية بصيدا بصورة مأمونة . وتضم الفرضة عشرين خزاناً سعة كل منها ١٨٠ ٠٠٠ برميل وخزانين سعة كل منهما ٥٠٠ ٠٠٠ برميل . ويبلغ مجموع طاقة التخزين فيها ٤ ٦٠٠ ٠٠٠ برميل .

وهناك اربعة مراس للتحميل في مياه يتراوح عمقها بين ١٤,٣ متراً و ٢٠,٤ متراً ويبعد كل منها ١,٦ من الكيلومتر عن الشاطيء . ويتم تحميل الناقلات بواسطة الخراطيم العائمة التي تتراوح أقطارها بين ٣٠,٤ سنتيمتراً و ٤٠,٦ سنتيمتراً والمتصلة بصورة دائمة بخطوط التحميل في الفرضة التي تتراوح أقطارها بين ٦١ سنتيمتراً و ٧٦,٢ سنتيمتراً و ٩١,٤ سنتيمتراً حيث يجري الزيت بقوة الجاذبية بسرعة تصل إلى ٧٠ ٠٠٠ برميل في الساعة .

خط الأنابيب بين المملكة العربية السعودية والبحرين

تقوم أرامكو منذ عام ١٩٤٥ بنقل الزيت في الأنابيب إلى جزيرة البحرين حيث يجري تكريره في معمل التكرير التابع لشركة نفط البحرين . وقد جرت مزاوجة الخط الأصلي في عام ١٩٤٨ وكذلك في ١٩٥٢ ثم في ١٩٧٤ لزيادة طاقته . وفي عام ١٩٦٩ غيرت أرامكو مسار الجزء الواقع في المملكة العربية السعودية لتجنب مروره في مدينة الخبر الآخذة في النمو والاتساع . وتتألف الشبكة الآن التي يبلغ طولها ٦٤ كيلومتراً من خط مفرد تتراوح أقطاره بين ٤٥,٧ و ٥٠,٨ و ٥٥,٩ سنتيمتراً ، يمتد من الظهران إلى العزيزية (في المنطقة المغمورة عند ساحل الخليج العربي) ، ومن خطين قطر كل منهما ٣٠,٥ سنتيمتراً يمتدان تحت مياه الخليج الضحلة ، ومن ثلاثة خطوط قطر اثنين منها ٣٠,٥ سنتيمتراً وقطر الثالث ٧١,١ سنتيمتراً تمتد في جزيرة البحرين إلى معمل التكرير فيها . ويبلغ معدل الطاقة اليومية المستمرة للشبكة ٢٢٥ ٠٠٠ برميل . وفي عام ١٩٧٤ ، ضخ إلى البحرين ما مجموعه ٩٨٨ ٧٩٧ ٦٤ برميلاً من الزيت الخام ، أي ما يعادل ٢,١٦ في المائة من مجموع انتاج أرامكو •

قصة

شمعة تحترق

بقلم: الاستاذ حسن حسن سليمان

البيت مثل خلية النحل يموج بحركة الداخلات والخارجات . ويعج بالصخب والضجيج ، فمنذ الصباح الباكر وعشرات من الجارات والصديقات يتوافدن في أكمل زينة وأبهى مظهر ، أزياء وعطور من كل صنف ولون ، وعقود وأساور تفانى صانعوها في اتقانها . ومن داخل البيت تنطلق الزغاريد من كل الحناجر في وقت واحد كلما لاحت للعيون من بعيد قادمة جديدة . وعلى انغام الطبلة راحت صديقات العروس يتناوبن الرقص أمامها بينما اخذت احداهن تغني « دقوا المزاهر » و « يا نخلتين في العلالي » والاخريات يرددن وراءها . والعروس على منصتها ممتلئة نشوة وزهواً . وقد استكملت زينتها فأضفت سحراً ناعماً على المكان ، وقد راحت تتصفح الوجوه وتتبادل مع صويحباتها نظرات ذات معنى ، وعبر العيون تتصل بينها وبينهن أحاديث واحاديث وامنيات وامنيات .

ومن الخارج تنطلق أبواق عدة سيارات عالية ومتواصلة تصاحبها زغاريد عالية أيضاً ومتواصلة فتجيبها زغاريد من الداخل تعلو وتتصل وتختلط بها . وتتهادى العروس في تيه ودلال تختال كالطاووس تحف بها قريباتها وصديقاتها يوصلنها إلى السيارة التي تنتظرها عند الباب لتنطلق بها مع عريسها في عاصفة من الزغاريد على درب السعادة في اول أيام شهر العسل .

وتهدأ الزغاريد وتسكت الطبول . وينفض جمع النسوة . وتجد أم طارق نفسها وحيدة غارقة في السكون فتلقي بنفسها على أقرب كرسي . وقد نال منها التعب والاعياء واستبد بها خليط من مشاعر شتى : فرح وحزن وقلق وخوف ، فهي فرحة لفرح ابنتها وسعيدة لسعادتها فهذا هو اليوم الذي كانت تتمناه لها منذ أعوام . وهي حزينة لفراقها وبعدها عنها فلم تتعود فراقها بل لم تكن تطيق ان تغيب عن عينيها ساعة من نهار وهي قلقة خائفة عليها من المستقبل المجهول ، وتخشى أن يكون حظها كحظها هي . وتفزع فزعاً شديداً لهذا الخاطر الرهيب كأنما لسعتها نار ، ثم تثوب إلى رشدها وتسترد هدوءها وهي تطمئن نفسها بأن مصير « ابتسام » لن يكون كمصير امها . فقد عرفت كيف تختار لها زوجاً ، من بين الكثيرين الذين تقدموا لخطبتها ، يملأ كل لحظة من حياتها سعادة وبهجة وهناء . « فوليد » شاب وسيم مرح مثقف قوي الشخصية وهو يشغل وظيفة محترمة تدر عليه دخلاً محترماً ، وقد اعد لها عشاً جميلاً بناه بين أشجار اللوز والمشمش والتفاح والخوخ والرمان في ارض له على أطراف القرية . وهو يملك أيضاً سيارة فارهة خصوصية تنساب في شوارع القرية انسياباً فتضفي عليه هيبة ووقاراً . فحظ ابتسام بكل تأكيد خير من حظها هي .



وتعود بها أفكارها اعواماً إلى الوراء يوم كانت في مثل سن ابتسام قبل عشرين عاماً ، كانت فتاة رائعة الجمال بيضاء في حمرة كحبة المشمش الحموي ، في أوج نضوجها ، ذات شعر أشقر مذهب تتناثر خصلاته مع النسيم كما تتماوج سنابل القمح في حقول قريتها ابان الحصاد ، وعينين زرقاوين صافيتين كزرقة السماء وصفائها أيام الربيع ، وكانت لها احلام وردية عريضة واسعة كاتساع الأفق من فوق جبال القرية وتلالها . وهي ما زالت تذكر يوم عادت ذات يوم من عند خالتها لتجد البيت في حالة غير عادية ، فالفناء قد كنس كنساً جيداً ورش بالماء وقد رصت فيه الكراسي بعضها إلى جانب بعض وعلى « الترابيزات » تناثرت علب السجائر والكبريت ، بينما أعدت المراتب في الداخل وصفّت عليها المساند والوسائد وعدد من « النارجيلات » موزعة هنا وهناك بعناية فائقة على أرض الغرفة يتوسطها موقد تتوهج جمراته ، وأهل البيت يروحون ويجيئون في حركة دائبة . توجهت إلى أمها مستطلعة مستفسرة فأجابتها بابتسامة تقطر بشراً وحناناً وقبلة ندية طبعتها على خدها وهي تقول لها : « عقبال الفرحة الكبرى » وفهمت كل شيء ، إذن فهي اليوم مخطوبة . وأخرستها المفاجأة فلم تحر جواباً . كان قد تناهى إلى سمعها همس خفي بأن « عادلاً » سيتقدم لخطبتها ، ولاحظت في الأيام الأخيرة انه يكثر من التردد على البيت ويبدي اهتماماً خاصاً بها ويحاول في كل مرة ان يختلس اليها نظرة مليئة بالشوق والمحبة . وكانت بينها وبين نفسها تتمنى أن يصبح الهمس حقيقة فعادل شاب مستقيم تتمناه كل فتاة زوجاً لها وهو وحيد أبويه بين ست بنات جميعهن متزوجات ، مات أبوه فورث عنه ثروة لا بأس بها وعدداً من الأراضي المزروعة التي تغل له موسماً طيباً في كل عام ، فهو من أثرياء القرية ومن كبار الملاكين فيها ، وهو مع ذلك صديق أخيها « خليل » وشريكه في الدكان الذي يقع أمام بيتهم مباشرة ، وكثيراً ما كانت تتردد على الدكان تتزود ببعض لوازم المنزل فكانت ترى نظرات الاعجاب في عينيه تلتهمها وهي داخلة خارجة ، كان انفعاله يفضحه وارتباكه يشي بحقيقة مشاعره وينم عن مكنون عواطفه ، فلم تعد تخفى عليها حقيقة مقصده ، ولكنها لم تكن تتوقع ان يتم ذلك بهذه السرعة . وتنطلق من الدار زغرودة مجلجلة تنتزعها من أفكارها ، وتتلوها عدة زغاريد ايذاناً بأن خطبتها قد تمت .

وألح « عادل » في الاسراع بتجهيز عروسه ، وكانت أمه أكثر منه الحاحاً فهو وحيدها وهي تتلهف لتفرح به قبل أن تموت . وجرى اعداد الجهاز بسرعة ، ولم تمض سوى أيام قلائل حتى انتقلت « سامية » إلى بيت زوجها وقلبها مليء بالفرحة الطاغية

والسعادة الغامرة وفي صدرها آمال عراض في أن تبدأ معه شهراً من العسل يمتد العمر كله .

وعاشت أيامها الأولى وكأنها في حلم تود أن لا تفيق منه . كانت تحس بفيض من السعادة لو وزعتها على أشقياء العالم لاسعدتهم جميعاً . كانت الدنيا لا تتسع لفرحتها . فكل آمالها تحققت ولا مطمع لها في مزيد .

ولم يطل بها حلمها الجميل . أخذت عيناها تتفتحان على أشياء جديدة وأمور لم تألفها . عادل بدأ يتغير . تغيرت معاملته لها فقد تلاشى الكثير من رقته . وحديثه لها تغير : فقد استحال إلى مجموعة من الجمل القصيرة الغامضة يرد بها على اسئلتها في غاية التبرم والايجاز . ونظراته تغيرت فقد نضب سحرها وذهب بريقها وخبت فيها جذوة الشوق واللهفة وأصبحت كالسهام يصوبها إلى صدرها فتنفذ إلى أعماق قلبها . وزايله مرحه فأصبح ساهماً واجماً دائم التفكير يثور ويغضب اذا حاولت ان تخرجه من صمته الثقيل ووجومه القاتل .

رجعت إلى نفسها تحاسبها لعله يكون قد صدر منها من حيث لا تدري ما كان سبباً في هذا التغير . حاسبت نفسها حساباً عسيراً فلم تقع منها على شيء يمكن ان تسيء به اليه . فقد بذلت له اقصى ما يمكن ان تبذله زوجة لتسعده وتحتفظ بقلبه حباً [illegible] بحبها .

ولجأت اليه تسأله عن سر تغيره وعما يمكن أن يكون قد وقع عليه من عيب فيها او تقصير منها وهي لا تشعر فلم تحظ منه بغير الزجر والاعراض . ولكنها لم تستسلم ولم تلق سلاحها من الجولة الأولى . فكررت عليه سؤالها فزاد في زجره لها واعراضه عنها . وألحت عليه فأمعن في زجره وخرج عن طوره فامتدت اليها يده بصفعة على وجهها افقدتها صوابها وتوازنها فاسودت الدنيا في عينيها ولم تعد ترى أمامها الا ظلاماً دامساً تسبح فيه الأشياء من حولها كالأشباح . وألقت بنفسها على الأرض متهالكة وقد أجهشت بالبكاء ، لم يرث لحالها ولم يرحم ضعفها ، تركها كومة مهملة ، ونظر اليها شزراً ثم صفق الباب خلفه وخرج .

لم تيأس ولم تفقد الأمل في استرجاعه ، فهو زوجها على كل حال . وهي ما زالت تحبه ، وهي لا تفهم للزوجة من وظيفة إلا أن تحب زوجها وتعمل لمرضاته واسعاده هكذا علمتها أمها دائماً . لجأت إلى « حماتها » وهي ترجو ان تجد لديها صدر الام الرؤوم فتساعدها على اعادة الطائر النافر إلى عشه الوادع وخاب ظنها ، فلم تلق منها هي الأخرى سوى الزجر والاعراض ، قالت لها بلهجة تقطر قسوة وشماته : ماذا تريدين مني أن أصنع لك ؟ ! ابني الوحيد الذي تعبت وشقيت في تربيته وحرمت نفسي من كل متع الحياة من أجله حتى صار رجلاً يملأ العين جئت أنت الغريبة عنا فاستأثرت به وسلبتني اياه ، بين يوم وليلة . فماذا تريدين مني أكثر من هذا ! ! ! وقع كلامها عليها كالصاعقة فزلزل كيانها . لكنها تماسكت فقالت لها تحاول ان تكسبها إلى جانبها أنا لم اسلبك ابنك يا عمتي . فعادل ما يزال وسيبقى ابنك وأنا أيضاً ابنتك بل انا خادمتك المطيعة أعمل على اسعادك وراحتك . جئت إلى بيتك لأخدمك ولأحمل عنك العبء كله . فصاحت بها : اسكتي يا كاذبة ! لا تحاولي خداعي بلسانك الناعم الذي يخفي وراءه السم والعلقم ! أنا أعرفك جيداً ! فمنذ تزوجك عادل لم يعد يعيرني أدنى اهتمام . لم يعد يهتم بشؤوني ، لم يعد يسأل عن حالي ! لم يعد يهمه إن أكلت أو جعت إن تألمت أو توجعت ، إن نمت أو لم أنم كل همه أنت ولا هم له سواك ! أنت الآمرة الناهية والحاكمة المطلقة ! فماذا تريدين أكثر من هذا ؟ ! ! ويدخل عادل وهما في هذا النقاش الذي يشبه الشجار . فما كان منه إلا أن انهال على « سامية » ضرباً وركلا وهو يقول لها : « هل بلغت بك الوقاحة ان يرتفع صوتك على صوت امي في غيبتي ؟ ! ودخلت غرفتها تتجرع ألمها في صمت .

وفي الصباح ذهبت إلى بيت أبيها وشكت اليه حالها . لم يثر لكرامتها كما توقعت . ولم يتوعد ويتهدد كما ارادت وإنما ابتسم لها وربت على ظهرها قائلاً : أليس عيباً ان تغضب ابنتي العاقلة الرزينة لأسباب تافهة كهذه ، اصبري يا ابنتي فالصبر طيب ، خذي زوجك باللين والحنان وخذي حماتك بالحلم والصبر وعامليها مثل أمك تماماً ، فهي كبيرة السن ولا تعي في كثير من الأحيان ما تقول : أنت ما زلت عروساً فلا تزرعي بيتك بالهموم ! هيا قومي أعدي لنا غداء شهياً فقد مضى وقت طويل لم نتعم فيه بأكلة من صنع يديك ، وسأدعو بعادل ليتغدى معنا ثم ترجعان معاً إلى بيتكما وكأن شيئاً لم يكن .

وعلى الغداء ابدى لها عادل أسفه واعتذر اليها عما بدر منه ووعدها ان لا يتكرر ذلك منه أبداً . ولم يف بما وعد ، فقد تكرر ذلك منه مرات حتى صار الشجار طابع حياتهما كل يوم . وغدا الضرب أسلوبه للتفاهم معها وأبوها في كل مرة يهديء من روعها ويطالبها بالصبر والتحمل اذ ليس للزوجة الا بيتها وزوجها والزوجة العاقلة لا تشكو ولا تتذمر ولا تتألم . تجرعت كأس الصبر حتى الثمالة وهو يزداد عليها شدة ويمعن بها تنكيلاً حتى صارت حياتها معه جحيماً لا تطاق .

ومضى عام أنجبت بعده طفلها الأول . وكانت ترجو أن يكون « طارق » هو الحلقة المفقودة بينها وبين أبيه . وأن يكون فيه رأب الصدع الذي يهدد حياتها فتثبت اقدامها في البيت الذي أبى ان يعترف بوجودها أو يقر لها بحقها في العيش فيه بسلام . انصب اهتمام « عادل » على « طارق » دونها وكأنه ابنه وحده وأنها ليست أمه وانه ليس قطعة منها وفلذة من كبدها . وبدأ « طارق » وكأنه ملأ جزءاً من الفراغ الذي يلف حياتها الخاوية فوجدت فيه عزاءها عما تقاسيه ومتنفساً لما يعتلج في صدرها من عواطف فياضة حبيسة ومشاعر جياشة مكبوتة .

ومضت بها الأيام وكأنها ألفت الألم واستمرأت الشقاء . فعلى الرغم من لحظات السعادة التي كانت تعبر حياتها دون أن تتوقف عندها فقد ظل البيت ساحة لحرب عوان لا تهدأ نارها ولا يخمد اوارها .

ثم انجبت له « ابتسام » و « الهام » ولم يتغير ولم يتبدل واستمرت تقاسي وتتألم وتتعذب في صبر وصمت من أجل أولادها وتقنع منه باللحظات القليلة التي تصفو فيها حياتهما وكأنها تختلسها من فم الأيام اختلاساً ولكنها سرعان ما تمر سراعاً كأحلام اليقظة دون أن تترك في حياتها أثراً حتى ولا مجرد ذكرى فقد كانت قسوته تطمس في قلبها كل الذكريات الحبيبة .

وذات يوم من أيام الشتاء الباردة استيقظت فلم تجده إلى جانبها ، وانتظرت عودته على الغداء فلم يعد ، لم تكن تعلم أين ذهب ، ولم يكن من عادته ان يخبرها ، كان يرى انها أتفه من أن تستحق اهتمامه وأقل شأناً من أن يشغل بها تفكيره او يشركها في أموره . غربت الشمس ومضى جزء من الليل ولم يعد ، أحست بقلبها ينخلع من مكانه وأن

ناراً تصعد من صدرها إلى قمة رأسها فتصهره صهراً حتى يتصبب عرقها في البرد القارس . وقفت في النافذة تراقب الطريق وتحدق في الظلام بعينين زائغتين تلتهم بهما كل قادم لعلها تراه . وافزعتها حركة سريعة في الشارع ، رجال وصبيان من الحارة يتراكضون باتجاه الساحة التي تتوسط القرية قرب المسجد الجامع حيث موقف السيارات ، زاد قلبها خفقاناً ، أوجست شراً وتزاحمت الأفكار السوداء في رأسها ، فخرجت إلى الشارع تستطلع الخبر ، لم يرد عليها أحد ، كلهم أشاحوا عنها بوجوههم . وفي الظلام الدامس سمعت امرأة تحدث جارة لها : مسكينة سامية والله خسارة انه ما زال شاباً في أول عمره . وسمعت جارتها ترد عليها في ستين داهية كان عليها مثل النار أراها النجوم في عز الظهر ، لقد فك الله أسرها وأراحها من شره ونكده . وأغمي عليها . وعندما أفاقت وجدت نفسها في بيتها بين عشرات النسوة يعولن ويولولن ، وعرفت ان زوجها أصيب في حادث سيارة على طريق القرية الصاعد في الجبل أثناء عودته من المدينة وقد نقل إلى المستشفى بين الموت والحياة . وأن أكثر أهل القرية قد احتشدوا في الساحة عند المسجد يرقبون عودة الذين هرعوا إلى المستشفى عند سماعهم بالخبر . وتحاملت على نفسها وقامت تحبو حبواً باتجاه الساحة مستندة على اثنتين من جاراتها راحتا تجرانها جراً علها تسمع خبراً جديداً يطمئن قلبها ويكذب ظنونها . وتناست في لحظة واحدة كل الشقاء والعذاب الذي عاشته معه وتوجهت إلى الله بقلب كسير ضارعة اليه أن يلطف به وأن يهبه الحياة من أجلها ومن أجل أولادها ودموعها تتساقط كالنار على وجنتيها في صمت حزين واستسلام يائس ، فهو زوجها وهي ما زالت تحبه ولم تحقد عليه في يوم من الأيام وهل للزوجة إلا أن تحب زوجها وتعمل على اسعاده ومرضاته .

ومضت ساعات خالها الناس دهراً جمد الدم في عروقهم خلالها من شدة البرد فاصطكت أسنانهم وارتعدت مفاصلهم . وبعد طول ترقب وانتظار لاح لهم نور سيارة صاعدة من منعطف الوادي فاشرأبت اليها اعناقهم وراحوا يلتهمونها بأعينهم حتى وصلت اليهم فتدافعوا نحوها فما أن تبينوها حتى علا الصراخ والعويل . فعلى نقالة في مؤخرة السيارة كان « عادل » مسجى وقد فارق الحياة ، وانقضت « سامية » تخترق الكتل البشرية المتراصة وانكبت عليه تقبل وجهه ويديه وقدميه وتناديه بأعلى صوتها غير مبالية بالجموع من الرجال المحتشدين حولها والذين بذلوا جهداً كبيراً في تخليصه من بين يديها ، ولم تلبث ان تشنجت ثم غابت عن الوعي .

وأخذت تفيق إلى نفسها بمرور الزمن وأبعاد مصيبتها تتراءى لها وتزداد اتساعاً يوماً بعد يوم ، نسيت عذاب السنين وشقاءها معه نسيت كؤوس الذل والاهانة التي تجرعتها على يديه فكل ذلك ارحم من الضياع الذي تركها فيه ، تمنت لو أنه بقي حياً ويسومها لوناً من العذاب في كل يوم وفي كل ساعة ، كانت ستتحمل كل شيء إلا منظر ابنائها الايتام ولم يتجاوز أكبرهم الرابعة من عمره . كان منظرهم حولها يضاعف من آلامها ويمزق قلبها تمزيقاً ويسحق احشاءها سحقاً فتضمهم اليها وهي تمطرهم بوابل من دموعها وكأنما تخشى ان ينتزعهم أحد منها وهم كل ما تبقى لها من أسباب الحياة .

وانقضت أيام العزاء وانصرف الجيران إلى شؤونهم وكأنهم نسوا « عادلا » فهذه سنة الحياة التي لا تتوقف عجلتها ، واجتمعت أمه واخواته الست وناديتها فاجابتهن ذليلة مهيضة الجناح تتوقع منهن كلمة عزاء تواسيها في محنتها وتشد من ازرها ، ظنت ان رهبة الموت وعمق الفاجعة قد أذابت الأحقاد القديمة في قلوبهن . وخاب ظنها حين قلن لها : لقد سكتنا عن حقنا في تركة ابينا حينما كان اخونا حياً أما وقد مات فنحن نريد نصيبنا من الميراث . قالت لهن ان اولاد اخيهن ايتام صغار وهم في أمس الحاجة إلى عطفهن وحنانهن فلم يجد كلامها من احداهن اذناً صاغية ، ولم تجد الا الاذعان لهن فقاسمنها كل شيء ولم يتركن بين يديها إلا القليل من المال والقليل من الأرض حتى البيت الذي تسكنه فقد ادعينه لأنفسهن وطردنها منه ، فعادت إلى بيت أبيها بقايا جسد واه هزيل لم تترك منه الأيام الا قلباً ممزقاً ونفساً محطمة ، وحملت معها أحزانها وآلامها وأيتامها الثلاثة .

ووجدت من أبيها يداً رحيمة تأسو جراحها وتمسح على أحزانها وآلامها وتبث في نفسها روح الايمان والثقة بالله والرضا بقضائه . واستسلمت لواقعها المر المتجهم ومضت تعيش حياتها مشلولة الأعصاب ميتة المشاعر لا تفرح ولا تحزن ولا تحب ولا تكره تنظر الى الناس نظرة جامدة خلت من الحياة بلهاء لا تحمل أي معنى كأنها آلة تؤدي عملها دون أن تحس به أو تشعر بوجودها .

ولم تتركها أخوات زوجها لما هي فيه بل مضين بتحريض من امهن يمعن في الانتقام منها والكيد لها فلجأن إلى القضاء لانتزاع الأولاد منها بحجة انها ستتزوج ، وكان حكم القضاء إلى جانبها بعد ان كذبت دعواهن فقد قررت أن لا تتزوج على كثرة خطابها والراغبين في الزواج منها . جربت حظها مرة فلن تخوض التجربة مرة أخرى ولم تعد حياتها ملكها لتتصرف بها كما تشاء فحياتها ملك اولادها تعيش لهم ومن أجلهم ولا تعبأ بكل ما تلاقيه في سبيلهم من كيد ومتاعب فقد قررت أن تكون لهم أماً وأباً ، تغدق عليهم من ينابيع حنانها الثرة التي لم يدع لها أبوهم مجالاً كي تتفجر في حياته ، وتغمرهم بفيض من حبها العارم الذي لم يحسن أبوهم استغلاله .

ولما تسلم أخوات زوجها بالهزيمة فلجأن إلى مكيدة أخرى وسعين لتعيين وصي من قبلهن على الأولاد القاصرين ليجردنها مما تحت يدها من أملاك زوجها ولكنها أبطلت كيدهن ونجحت في تعيين وصي على الأولاد من قبلها هي بعد ان كشفت للمحكمة خبث نيتهن وسوء قصدهن .

وزادها كل ذلك تشبثاً بأولادها ولصوقاً بهم ، فمضت بايمان وصبر تواجه الاعصار الهائج دون ان تضعف في وجه التيار الجارف ، بل أمسكت الدفة بثبات وحزم تتحدى الموج وتقود سفينتها نحو البر الآمن ، حتى كبر طارق ، وكبرت ابتسام ، وكبرت الهام . وهي اذ تزف ابتسام اليوم إلى زوجها تحس انها قد نجحت في الامتحان الصعب بعد أن مشت على آلامها وأحزانها وتخطت في طريقها الأشواك والصخور والعقبات .

وندت عنها تنهيدة ، وامتدت يدها لتمسح دمعتين تدحرجتا على وجنتيها فأحست كما لم تحس من قبل بعمق الأخاديد التي حفرتها في وجهها يد الزمن ، وأدركت كما لم تدرك من قبل كم كان الثمن الذي دفعته من شبابها الضائع باهظاً حتى لا يضيع اولادها في دروب الحياة . لقد كانت شمعة فاحترقت وأنارت لهم طريق المستقبل وزرعته لهم بالورود والآمال

●

حسن حسن سليمان — صفوى

رباط الفتح

بقلم: الدكتور نقولا زيادة

عندما ينتقل المرء من طنجة إلى الرباط أو من مراكش إلى الرباط ، عبر الدار البيضاء ، او عندما يهبط الرباط من مرتفعات فاس ومكناس ، كما تنقلنا اكثر من مرة ، يدرك أهمية هذا المركز الذي تقتعده الرباط من الناحية الجغرافية والتجارية والاستراتيجية .

فالرباط تكون مع سلا ، التي يفصلها عنها وادي بو رقراق ، موقعاً بحرياً هاماً . كما انها تتوسط المنطقة الغربية الغنية في المغرب ، وهي إلى جانب هذا وذاك ، تعتبر نقطة الاتصال الطبيعية بين مراكش وفاس ، ذلك أن جبال الأطلس المرتفعة تقع بين المدينتين ، واجتياز هذه الجبال ليس بالأمر اليسير على التاجر والمحارب . لذلك فقد كان التجار وقادة الجيوش ينتقلون من مراكش إلى فاس ومن فاس إلى مراكش عن طريق الرباط . فاجتماع الطريق اليسير والسهل الخصيب والميناء الصالح هو الذي حدد الدور الذي قامت به هذه النقطة من التراب المغربي .

وقد عرف القدامى للمنطقة أهميتها ، وان كانت « سلا » لا الرباط المركز الأول . ذلك بأنه قد ورد ذكر تلك في القرن الثالث قبل الميلاد ، واستمر لها ذكر بعد ذلك ، أما في العصر الاسلامي فيبدو أن اقامة بناء مع شيء من التحصين في سلا يرجع الفضل فيه إلى إدريس الذي قام بذلك في أواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) . ولما أنشأ « بنو افرن » دولة لهم هناك في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) كانت سلا عاصمة ملكهم . ومع ذلك فقد كان للرباط موضع مهم في هذا كله ، فليس يعقل أن يترك ولي امر نقطة مهمة تقع على العدوة المقابلة لودي بو رقراق لغيره .

وفي أيام الموحدين تمركزت قبيلة برغواطة في « سلا » ، وقام الموحدون بقتالها حتى انتهى الأمر بعبد المؤمن الموحدي أن هدم تحصينات المدينة لما استولى عليها في أواسط القر السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). ولما عاد حفيده « أبو يوسف يعقوب المنصور » من غزوة الأرك ٥٩٢هـ (١١٩٥م) ، أمر ببناء رباط الفتح ، وهو الاسم التاريخي الكامل لمدينة الرباط . وقبل ان يموت كانت أسوار المدينة قد ارتفعت وجامعها الكبير قد بانت معالمه وشيدت منارته .

وفي سنة ٦٤٧هـ (١٢٤٩م) استولى « بنو مرين » على « سلا » ، واستمر القتال بينهم وبين الموحدين على رباط الفتح ، إلى أن انتصر المرينيون أخيراً . وقد ظلت « سلا » (مع الرباط) الميناء المغربي الأول على المحيط الأطلسي طوال العصور الوسطى . فقد كان سكانها مشهورين بمهارتهم التجارية بحيث كانت السفن التجارية تقصد مدينتهم من موانيء البحر المتوسط الايطالية مثل بيزا وجنوة والبندقية وكتلانية ، ومن فلاندرز (الأراضي المنخفضة) وانكلترا . وكانت أسواق « سلا » تمتلىء بالأقمشة والبسط والعاج والمسك والزجاج ، وقد عرفت المدينة ازدهاراً وثروة في تلك الحقبة .





جانب من « باب الوداية » حيث تبدو فيه الزخارف والنقوش البديعة .

باب قصبة الوداية الذي يمتاز بضخامته وهندسته الرائعة التي تجتذب عدداً كبيراً من السواح .

ليس هذا تاريخاً للبقعة . ولم نرم نحن إلى ذلك . ولكننا أردنا أن نؤكد للقارىء أن مركزاً مثل هذا المركز كان لا بد أن ينال من أهل السلطان العناية اللازمة . وقد نال . ولولا ما كان يصل إلى بعض هذه الأبنية من عبث أولئك الذين ينقلون الحجارة والأعمدة لاقامة الأبنية الخاصة بهم ، لكان الذي نُشاهده اليوم أكثر وأوفى بناء . وأجمل رونقاً . وأبهى صنعة .

تقف على طرف الرباط (رباط الفتح) المشرف على « بورقراق » فترى « سلا » على العدوة المقابلة ، وتنتقل إلى سلا فتطل منها على الرباط . وتحار في أي التوأمين أحب إلى أهله . وان كان ثمة تفضيل في وقت من الأوقات ، فانما مرجع ذلك في غالب الحالات . إلى ظروف وأحوال ومزاج شخصي .

رباط الفتح مدينة موحدية في أصلها وفي أكثر ما نشاهده فيها . وقد عملت الدول التي قامت في المغرب بدورها زيادة فيها وتوسيعاً . لكننا نود ان نكتفي بآثار العصر الموحدي لأنها الأوضح دلالة والأكثر أصالة . ولما اتسعت رباط الفتح في عصر الموحدين كان لها سور يبلغ طوله خمسة كيلومترات وربع الكيلومتر ، يمتد من نقطة في الشمال على المحيط الأطلسي



المدخل الرئيسي للجامع الكبير في سلا الذي أسسه أبو يعقوب يوسف .

منظر عام لمدينة الرباط .



سور قصبة الوداية من الداخل .

مدرسة أبي الحسن وهي من أجمل مدارس سلا بناء وزخرفا .

ويتجه جنوباً في خط يكاد يكون مستقيماً ثم ينحرف شرقاً في مكان القصر الملكي الآن . حتى ينتهي بوادي بورقراق . السور الموحدي في الجهة الغربية . والتحصينات والأبراج الكثيرة والتي كانت تحيط بالأبواب بشكل خاص ، كانت تجعل من الرباط مدينة حصينة .

ولم يغفل بناة هذا السور ان يجعلوا من الأبواب التي كانت تؤدي إلى داخل المدينة وخارجها قطعاً فنية . فباب العلو وباب الحد وباب الرواح أمثلة حية على ذلك . ولا شك في ان الذي يقف أمام هذه الأبواب اليوم تدهشه روعة الزخرف القائم على التناسب في الأقواس التي يغلب عليها ان تكون بشكل حذاء الفرس ، والصخر المحفور حفراً دقيقاً أو الجبس المقولب بشكل لا يترك زيادة لمستزيد . فباب الرواح مثلاً مبني من الحجر ، وقطع الحجارة متوسطة الحجم ، لكن الأهم من ذلك كله هو هذا التناسب والانتظام في أشكالها ومواضعها . وقد كانت أبواب المدن تبنى قبلاً على غرار الأبواب الرومانية او البزنطية فتتكون من عقدين متقابلين . لكن المرابطين بدأوا ببناء أبواب تنحرف في الداخل على زاوية . وقد أصبح بناء الأبواب أكثر تعقيداً في أيام الموحدين . فباب الرواح يكتنفه برجان يحرسانه . ويدخله المرء فيصل إلى القاعة الأولى المربعة التي تعلوها قبة مضلعة . ثم يتجه يساراً إلى قاعة ثانية مربعة أيضاً مغطاة بقبة شبه كروية ومن هذه القاعة ينتقل إلى قاعة ثالثة هي الأخرى مربعة لكنها مكشوفة بحيث اذا تمكن العدو من اجتياز القاعتين الأوليين أمطره الحراس بوابل من السهام من البرج المتصل بالباب . وثمة قاعة رابعة مسقوفة كالثانية ، ومنها ينفذ الداخل إلى المدينة . هذه الزوايا الأربع القوائم بين المدخل والقاعات والمخرج هي التي كانت تجعل الباب شديد التحصين . وباب الحد كان البرجان المحيطان به مخمّسين شكلاً حتى يمكن تنويع البناء وبذلك تصبح التحصينات أجمل شكلاً .

وفي الجهة الشمالية الشرقية من رباط الفتح تقوم قصبة الوداية وهي الحصن الموحدي الأصلي . لها سورها المستقل المحصن من الخارج والجميل من الداخل . كما أن قصبة الوداية لها بابها الضخم المنيع والمزخرف بالحفر والنقش . وباب الوداية ، وهو أقدم عهداً من باب الرواح ، أقل تعقيداً من هذا ، لكنه يخضع للمخطط

أعمدة مدرسة أبي الحسن مغطاة بالزليج الملون الجميل .

الدقة المتناهية في الحفر والنقش تنعكس مجلاة على مدخل مدرسة أبي الحسن .

جامع حسان بمنارته الرشيقة وأعمدته العديدة يعتبر من أبرز معالم الرباط .



سور قصبة الوداية بأبراجه الشامخة .

الموحدي وخاصة في بناء الأبواب بحيث يحال دون اجتيازها بسهولة . فهو مكون من ثلاث قاعات ، يربط بين الأولى والثانية درج ، كما يقوم درج يصل بين الثانية والثالثة . ويتم الدخول إلى القصبة عبر الدهليز . الا أنه يمكن . عند الحاجة الدخول من القاعة رأساً .

درنا بسور الموحدين في الرباط ووقفنا عند أبوابه ومتعنا الطرف بالتحصين والجمال ، وملأت قصبة الوداية ، وخاصة حديقتها الداخلية ، نفوسنا حبوراً وسروراً . ولكن لما وصلنا جامع حسان ازدادت دهشتنا . وكان ذلك لسببين أولهما هذه الرقعة الواسعة التي يشغلها الجامع (١٨٠×١٤٠ متراً) وهذه المنارة الرابضة في منتصف جداره الشمالي . والثاني هو أن هذا الجامع لم يتم بناؤه ؛ فالذي أقيم منه هو جزء فقط . وتذكرنا ما ذكره المراكشي في ذلك : وهو ان المنصور شرع في بنيان مسجد عظيم في رباط الفتح كبير المساحة واسع الفناء جداً ليس في مساجد المغرب أكبر منه . وعمل له مئذنة في نهاية العلو . ولم يتم هذا المسجد لأن العمل ارتفع عنه بموت أبي يوسف المنصور .

وقد عادت بنا الذاكرة إلى جامع الكتبية في مراكش وهو أيضاً من انشاء الموحدين . جامع ضخم جميل بسيط متسق متناسق المنارة والبناء . وحملتنا الذكرى إلى جامع اشبيلية الذي يشبه جامع الكتبية وجامع حسان من حيث الضخامة والاتقان . وربطنا بين هذه كلها ، وأضفنا اليها أبنية موحدية أخرى . فكان لدينا من ذلك ما أشرنا اليه من قبل وهو أن الموحدين كانوا يدركون عظمة الاسلام ويشعرون بالمسؤولية التي ندبوا لها من حيث الحفاظ على الايمان والنجاح الذي أصابوه في أفريقية والأندلس . فاتجهوا إلى التعبير عن ذلك بهذه الأبنية الضخمة التي كانت جماع الشعور بالواجب والنجاح المؤثل والشكر لله على أن تم ذلك على أيديهم .

هذه ناحية من نواحي حياة الموحدين وآثارهم التاريخية التي لا تزال قائمة والتي تبرز دور الموحدين ومكانتهم في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية .

خطرت لنا هذه الأمور ونحن ندور في أفناء هذا الجامع الذي لم يتم بناؤه ، وان كان قيامه هناك يشعر بالروح التي أملت على المنصور هذا العمل .

والخطة التي يبدو انها كانت في نفس المنصور هي أن يكون للمسجد صحن أمام المنارة وصحنان أصغر في كل من جهتيه الشرقية والغربية . وصفوف الأعمدة التي لا يزال أكثرها قائماً توضح لنا ، بقدر ما أمكن ، ان مكان الصلاة كان سيشغل القسم الأكبر من الجامع . ففيه اولاً ثلاثة اروقة موازية لجدار القبلة وبطوله تماماً . ثم تبدأ عند نهاية الرواق الثالث الأروقة المتعامدة عليه وهي واحد وعشرون رواقاً ، والأوسط منها والرواقان المصاقبان للجدارين الشرقي والغربي أوسع من البقية . ويقوم ستة عشر صفاً من الأعمدة على طول هذه الأروقة الواحد والعشرين إلى الصحن . يضاف إلى ذلك ركيزتان في نهاية كل من هذه الصفوف .

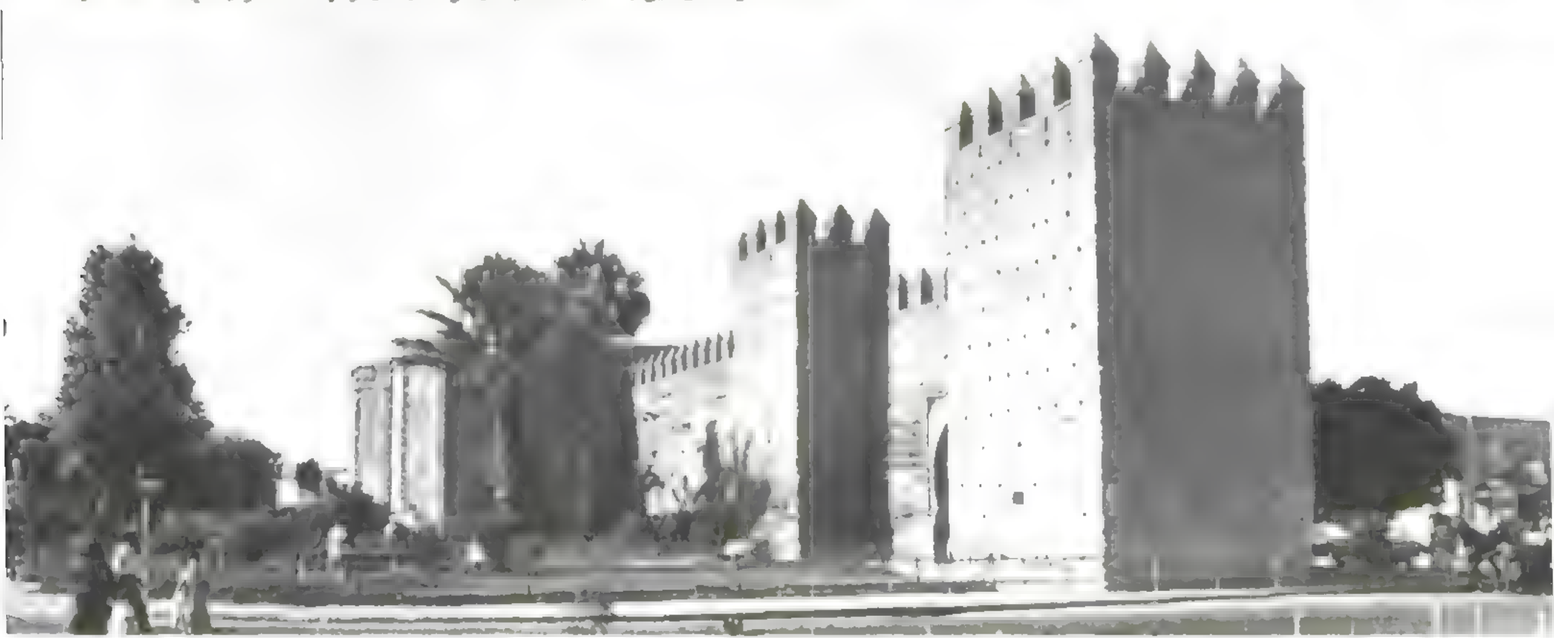
والمنارة لم تتم بناء ، اذ ان ارتفاع الجزء القائم منها هو اربعة واربعون متراً . وهي مبنية بالحجر المصقول . ومركز المنارة من الداخل يدور به طريق منحدر عرضه متران . والمركز موزع على ستة طوابق في كل طابق غرفة ، وسقوفها مختلفة . كما ان الزخارف والطاقات من الخارج مختلفة .

ولنجتز وادي « بورقراق » على الجسر الطويل الذي يصل الرباط بسلا ، لنتم زيارتنا لعدوتي الوادي . وأول ما يطالعنا عند وصولنا سور سلا الذي يرجع تاريخه إلى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في غالبه وهو مريني . وأسوار المدينة ، كما تبدو في الصورة محصنة ، لكنها أقل تحصيناً من أسوار الرباط ، اذ أن هذه أصبحت تدريجاً موضع عناية الدول التي قامت في المغرب . الا أن الجزء الموحدي من أسوار « سلا » احتفظ مع الزمن بتحصيناته وابراجه .

وفي « سلا » باب من أواسط القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) بناه المرينيون للدفاع عن الميناء الداخلي للمدينة واسمه باب المريسي .



▲ السور الموحدي من الجهة الغربية من مدينة الرباط .



▼ سور الموحدين بتحصيناته المنيعة يمثل الازدهار والنهضة العمرانية في ذلك العصر .

. آثار الموحدين الهامة في «سلا»
ومن الجامع الكبير الذي أسسه أبو يعقوب يوسف (٥٥٨–٥٨٠هـ) . (١١٦٣–١١٨٤م) ولكن يد الاصلاح والتوسيع امتدت اليه وبابه الرئيسي يمثل الزخرف المألوف في ذلك العصر ، وان كان احد أبوابه المغلقة أوضح في التعبير عن ذلك . والمنارة المربعة فيها شبه بمنارة الكتبية وجامع حسان من حيث الشكل والزخرف ، لكنها أصغر وأقصر . أما أروقة الجامع فيغلب عليها طابع البساطة .

الا أن الأثر الجميل في «سلا» هو مدرسة ابي الحسن ، وذلك نسبة إلى أبي الحسن علي (٧٣٢ – ٧٤٩هـ) ، (١٣٣١ – ١٣٤٨م) الذي يعتبر من كبار البنائين بين المرينين ، وآثاره كثيرة ، وأكثر ابنيته مدارس ، ومن أجمل هذه المدارس بناء وزخرفاً مدرسة «سلا» . وهي صغيرة نسبياً . وانت اذ تهم بالدخول إلى المدرسة من بابها تلفت نظرك الدقة المتناهية في الحفر سواء في الحجر او الجص أو الخشب . بحيث تكاد تنسى أنك تود الانتقال إلى الداخل . فاذا اجتزت هذا الجمال وجدت نفسك في مدخل صغير وعلى يمينك درج ينقلك إلى الطابق العلوي من المدرسة . واذا ما اجتزت المدخل وقع نظرك على صحن يتوسطه مدخل مكان الصلاة . والصحن والجدران والأعمدة مغطاة بالزليج (القيشاني) الملون الجميل ويتضح تفاصيل ذلك من الانتباه إلى الأعمدة .

وحيث تنقلت في هذه المدرسة وقعت عينك على نماذج جميلة جداً من الحفر والكتابة اما في الجص (الجبس) او في الخشب . ويكفيك ان تقف بعض الوقت أمام أحد الجدران هناك لترى بنفسك مبلغ ما وصل اليه الاتقان .

عناية المرينيين بالعلم والأدب معروفة ، واهتمامهم ببناء المدارس في انحاء المغرب جمعاء مشهور . وقد رغبوا في أن تكون العناية والاهتمام معبراً عنهما تعبيراً فنياً قوياً . وقد تم لهم ذلك في هذه المدرسة وغيرها

الرباط ، وسلا . تقعان في نقطة مهمة بالنسبة إلى المغرب : مهمة جغرافياً واستراتيجياً واقتصادياً . والعناية بالأسوار وأبراجها والموانىء وأبوابها انما هو للافادة من الموقع . ولأن الموحدين والمرينيين كانوا يحكمون في فترة من الفترات المهمة في تاريخ المغرب ، ولأنهم كانوا يشعرون بما يلقى على أكتافهم من مسؤولية وواجب ، فقد قاموا بذلك خير قيام . وأجمل ما في ذلك ، هذا التعبير الفني عن كل ما اختطوه وعملوه وبنوه واحتضنوه وأحاطوه برعايتهم . وزيارة واحدة إلى المغرب تضعنا وجهاً لوجه أمام هذه الحقيقة التاريخية

•

د. نقولا زيادة – بيروت

تصوير : خليل ابو النصر

صور الحيوان في الشعر الإسلامي

- ٣ -

للدكتور: مصطفى عبد الواحد

كنا قد توقفنا في مقالتنا السابقة عند أواخر العصر الأموي مقدمين امثلة من ذلك العصر خاتمينه بروائع لذي الرمة . ونحن اذا ما انتقلنا إلى صورة الحيوان في الشعر العباسي فاننا نجد معالم التجديد في شعر الحيوان تتضح والصورة تتميز ، تبعاً لما جد على البيئة العربية في ذلك العصر من تجديد . ولا يمكن القول بأن هناك انقطاعاً كاملاً بين الشعر العباسي في موضوع الحيوان وبين ما سبقه في العصرين الجاهلي والأموي ، فليست هناك فواصل عميقة بين العصور الأدبية ، وإنما نجد أن هناك قديماً يتصل بالصور والمعاني التقليدية ، وجديداً يصور التحول في الفكر والسلوك . .

فمن حيث الاطار الذي يحوي صورة الحيوان في العصر العباسي نجد أن هناك جديداً أضافه العصر واقتضته الظروف الجديدة فقد اطمأنت بالناس الحياة أيما اطمئنان وأظلتهم حياة الحضارة والترف ، فلم يعد يشغل بالهم حيوان الصحراء أليفه وآبده ، وإنما شغلهم حيوان البيئة الجديدة الذي يألف البيوت ، فتناولوه في صور طريفة ، سواء في جانب النفع والضرر . فلم يكن الشعر من قبل يألف وصل الحيوان الأليف في البيوت وخاصة ما كان هيّن القيمة أو قليل الضرر كالسنور والفأر . ولكننا نجد ذلك شائعاً في شعر العصر العباسي خاصة ، مما يدل على تحول في النظر إلى جانب النفع والضرر في الحيوان .

فمن ذلك ما ذكره الجاحظ في كتاب « الحيوان » من شعر ابن عبدل في الفأرة والسنور ، وفيه يجعل الفأر يهرب من بيته لجدبه وفقره في صور طريفة (١) . وما رواه الجاحظ أيضاً من شعر أبي الشمقمق في الفأر والسنور (٢) وما رواه الصّولي في كتاب « الأوراق » من شعر القاسم بن يوسف في شكوى النمل والفأر (٣) .

وقد كان للحيوان الأليف في تلك البيئة منزلة قريبة من الوجدان ، ويظهر ذلك في كثرة ما روي من قصائد الرثاء للحيوان ، وقد كان القاسم بن يوسف رائداً في ذلك الفن من مراثي الحيوان ، وقد كان « حتى انه لرأس فيه متقدم جميع من نحاه (٤) » فمن ذلك قصيدة له طويلة في رثاء عنزة له سوداء يقول فيها :

عين بكّي لعنزنا السوداء
كالعروس الادماء يوم الجلاء

ذات لون كالعنبر الورد قد عُلّ بما فاق لون الطلاء

ذات روقين أملسين رقيقين وضرعين كالدلاء الملاء

ذات جيد ومقلتين كوحشية قفر من جاريات الظّباء

اذن سبطة وخدّ أسيل
وابتسام عن واضحات النقاء

ثم يقول :

فاذا شئت قلت ربة بيت
ذات طفلين من خيار النساء

واذا شئت قلت ربة خدر
في حجور الحضّان والرقباء

---

(١) أنظر الحيوان للجاحظ ٥/٢٩٨ – ٢٩٩ . (٢) الحيوان ٥/٢٦٤–٢٦٩ . (٣) الأوراق ، ص : ١٧٥ . (٤) الأوراق ، ص : ١٦٤ .

إلى أن يقول :

لـم لم ينجنا الحـذار عليهـا
اذ دهانا فيهـا حلول القضاء
أصبحت في الثرى رهينة رمس
وتناهـا حيّ لـدى الأحياء
كيف لي بالعـزاء لا كيف عنهـا
سلبتني السوداء حسن العزاء (٥)

فهنا يتعاطف الشاعر مع الحيوان ويضعه في درجة الانسان فيرثيه بهذه النغمة الآسية . ولا يجوز أن نشك في الصدق الفني للشاعر في مثل هذه القصيدة ، وان كان هناك من يشك في الصدق الواقعي في موقف الشاعر من رثاء عنز ، فقد وضع الشاعر تجربته في اطار من الصور الحية التي تدل على عاطفة وتكشف عن احساس .

ولهذا الشاعر نفسه مراث جيدة في أنواع أخرى من الحيوان فهو يرثي هرة ويذكر مكانها من حياته :

ولـم تك اذ رقـد الراقـدا
ت في ظلم الليل بالـراقـدة
اذا ما دجـى ليلهـا ختلتهـا
على الرصف نازلـة صاعـدة
وتحضر عند حضـور الطعـا
م فنلقي لهـا كسر المائـدة
وتشهـدنا عنـد وقت الصـلا
ة في الليلـة القـرة البـاردة
وكنا بصحبتهـا حـامديـ
ـن وكانت بصحبتنـا حـامـدة
فمـن لهـا عارض للـردى
فأمست بتربتهـا هامـدة (٦)

كما يرثي طائراً يدعى « الشاه مرح » ولعلها : « الشاه رخ » في لهجة متفجعة ، ويكنى أبا سعد (٧) .

وكان من أروع ما عرف في العصر العباسي من قصائد رثاء الحيوان قصيدة أبي بكر الحسن بن العلاّف البغدادي المتوفى سنة ٣١٨ هـ وعمره مائة سنة ، في رثاء هر له كان يأنس به ، فكان يدخل ابراج الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها فأمسكه أربابها فذبحوه ، فرثاه بهذه القصيدة التي تبلغ خمسة وستين بيتاً ، ذكر منها الدميري في كتاب « حياة الحيوان » ثلاثة واربعين بيتاً .

وقد قيل انه كنى بهذا الهر عن ابن المعتز حين قتله المقتدر ، فخشي من المقتدر ونسبها إلى الهر وعرّض به في أبيات منها . وقيل انه كنى بالهر عن المحسن بن الوزير أبي الحسن علي بن الفرات أيام محنته لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه .

وأياً ما كان الأمر فان هذه القصيدة بهذا الطول وبهذا الاقتصار على غرض واحد ، وهو رثاء الهر ، سواء أكان حقيقة أم رمزا ، فانه لون جديد في شعر الحيوان .

فان ابن العلاف يبلغ الغاية في تصوير عواطفه نحو الهر وتأمل مصرعه وجلاء العبرة فيه ، بما يجعل نظره أفسح وتأمله أعمق . .

ففي تصوير عواطفه يقول :

يا هـرّ فارقتنا ولـم تعـد
وكنت عندي بمنزلـة الولـد
فكيف ننفك عـن هواك وقـد
كنت لنا عـدة مـن العـدد
تطرد عنـا الأذى وتحرسنا
بالغيب مـن حية ومـن جـرد
وتخـرج الفـأر مـن مكانهـا
مـا بين مفتوحهـا إلى السدد
يلقاك في البيت منهـم مـدد
وأنت تلقاهـم بلا مـدد
لا ترهب الصيف عند هاجـرة
ولا تهـاب الشتاء في الجمـد

. . . ثم يتطرق إلى أسباب مصرعه ولعل فيها جانباً من الرمز فيقول :

وكان قلبي عليك مـرتعـدا
وأنت تنساب غـير مرتعد
تدخـل برج الحمـام متئـدا
وتبلـغ الفرخ غـير متئـد
وتطرح الريش في الطريـق لهـم
وتبلـع اللحـم بلع مزدرد
أطعمك الغيّ لحمهـا فـرأى
قتلك أربابهـا مـن الرشد

ويمضي ابن العلاّف في تصوير المفارقة بين مصرع الهر وبين ما كان الهر يرتكبه من أحداث في عدوه على فراخ الحمام في لهجة آسية فيقول :

لـم يرحمـوا صوتك الضعيف كما
لم ترث منهـا لصوتهـا الغـرد
اذاقك الموت ربّهـن كمـا
أذقت أفراخـه يـداً بيـد
كأن عيني تـراك مضطربـا
فيه وفي فيك رغـوة الـزبـد
وقـد طلبت الخلاص منـه فلـم
تقـدر على حيلـة ولـم تجـد
فمـا سمعنـا بمثـل موتـك اذ
متّ ولا مثـل عيشـك النّكد

ويستخلص من ذلك العبرة التي يستقيها الوجدان من هذه الحادثة وينتقل بها الشاعر من أفقها الضيق إلى مجال التعميم الذي يؤيد جانب الرمز في تلك القصيدة :

يا مـن لذيذ الفـراخ أوقعـه
ويحك هلاّ قنعـت بالغـدد
ألم تخـف وثبـة الزمـان كمـا
وثبت في الـبرج وثبـة الأسد
عـاقبة الظلـم لا تنام وان
تأخـرت مـدة مـن المـدد
أردت أن تأكل الفـراخ ولا
يأكلك الدهـر أكل مضطهد
هـذا بعيد مـن القياس ومـا
أعزّه فـي الدنـو والبعـد (٨)

وهكذا أصبح موضوع الحيوان في الشعر العباسي موضوعاً وجدانياً لا يقتصر على الوصف الحسي ولا يعنيه نقل الواقع وإنما اختلط بالمشاعر والوجدانات ، وارتقى إلى درجة انسانية في النظر والتقدير .

وكان هذا مظهراً من مظاهر الحضارة والترف الذي شمل الناس في العصر العباسي ، فأصبح للحيوان الأليف شأن مذكور في تلك البيئة .

وكان من مظاهر التجديد في شعر الحيوان في العصر العباسي وصف أنواع من الحيوان لم تعرف من قبل في العصرين الجاهلي والأموي ، سواء في ذلك الحيوان الأليف والآبد . .

فمن ذلك وصف أبي الفتح بن كشاجم المتوفى سنة ٣٥٠هـ البيدق ، وهو نوع من أنواع البازي لا يصيد إلاّ العصافير (٩) .

ووصف أبي العباس الناشيء المتوفى سنة ٢٩٣هـ حيواناً يسمى « التفه » وهو كما يقول الدميري « نوع من السباع نحو الكلب الصغير على شكل الفهد » وفيه يقول الناشيء :

حلـو الشمائل في أجفانـه وطـف
صافي الأديم هضيم الكشح ممسود
فيـه من البدر أشبـاه توافقـه
منهـا له سفع في وجهـه سود
كوجـه ذا وجـه هذا في تدوّره
كأنه منه في الأجفان معدود

---

(٥) الأوراق ١٦٤-١٦٦ . (٦) الأوراق ، ص : ١٧٣ . (٧) الأوراق ، ص : ٩٧٦-١٧٨ . (٨) حياة الحيوان : ٣٦٣/٢ .
(٩) أنظر حياة الحيوان للدميري ١٣٧/١ .

لــه مــن الليث ناباه ومخلبــه
ومن غرير الظباء النحر والجيد
اذا رأى الصيد أخفى شخصه أدبا
وقلبه باقتناص الطير مزءود

وكذلك وصفه لطائر من الصقور يسمى اليؤيؤ ، وفيه يقول :

ويؤيؤ مهذب رشيق
كأن عينيه لدى التحقيق
فصان مخروطان من عقيق

وهي صور جديدة في الشعر العربي تعبر عن البيئة الجديدة والحضارة الوارفة التي أظلت العرب في العصر العباسي ، فتغيرت لها صور الحيوان في شكلها ومضمونها . وهل كان لشاعر جاهلي أو أموي أن يشبه عيون الطير بفصين مخروطين من عقيق ؟ ان ذلك يدلنا على الجو الجديد الذي انتقلت اليه صورة الحيوان في العصر العباسي .

ومن قبل الناشيء وصف أبو نواس (١٣٩ – ١٩٠هـ) اليؤيؤ بقوله في احدى طردياته :

قد أغتدي والصبح في دجاه
كطرة البرد لدى مثناه
بيؤيؤ يعجب من رآه
ما في اليآيي يؤيؤ سواه
أزرق لا تكذبه عيناه
فلو يرى القانص ما يراه
فداه بالأم وقد فداه
هو الذي خولناه الله
تبارك الله الذي هداه

ولكن فرق الزمن بين الشاعرين جعل لهجة النواسي في وصف اليؤيؤ أقرب إلى أشعار السابقين وأشبه بأسلوبهم في وصف الحيوان ، ولا شك أن أبا نواس في طردياته كان ينسج على منوال سابق ، وان كان له فيها تجديد ولا ينكر .

ومن الألوان الزاهية في الشعر العباسي في وصف الحيوان التي ليس لها مثال سابق في الشعر الجاهلي والأموي وصف ابن رشيق لليعقوب وهو ذكر الحجل ، وهو طائر حضري جميل الصورة ، في أخيلة حضرية لا سلطان للبداوة عليها بقوله :

ما أغربت في زيها
الا يعاقيب الحجل
جاءتك متقلة السترا
ثب بالحلي وبالحلل
صفر العيون كأنها
باتت بتبر تكتحل
وتخالها قد وكلت
بالنون والصوت الزجل
وكأنما باتت أصا
بعها بحناء تعل
من يستحل لصيدها
فأنا امرؤ لا استحل (١٠)

وكذلك وصف أبي اسحق الصابي المتوفى سنة ٣٨٤هـ للببغاء ، وهو طريف في شكله ومضمونه وأوله :

أنعتها صبيحة مليحة
ناطقة باللغة الفصيحة
عدت من الأطيار واللسان
يوهمني بأنها انسان (١١)

ومن ذلك وصف أبي الشيص المتوفى سنة ١٩٦ هـ للهدهد (١٢) . وغير ذلك مما لايمكن استقصاؤه في هذا المقام .

فاذا انتقلنا إلى عصر المماليك ، وهم الذين كانوا بمصر والشام ، فاننا نجد أن صلة الشعر في هذا العصر بموضوع الحيوان كان صلة سطحية ، لا تنفذ إلى الأعماق ولا تصدق في التأمل ، وكل ما فعله الشعراء في هذا العصر أنهم اتخذوا موضوع الحيوان ميداناً من ميادين الزخرف اللفظي وصنعة التركيب التي برعوا فيها وأظهروا مقدرتهم على التفنن في أشكالها .

فمن ذلك قول برهان الدين القيراطي وهو من شيوخ الدميري ، الذي يقدمه الدميري بقوله : وما أحسن قول شيخنا برهان الدين القيراطي في « الزرزور » وهو نوع من العصافير :

قد قلت لما مر بي معرضاً
وكفه يحمل « زرزورا »
يا ذا الذي عذبني مطله
ان لم تزر حقاً فزرزورا

فماذا أفادنا القيراطي في هذا الجناس المتكلف الذي صنع البيتين من أجله ؟ انه لم يمس الموضوع من قريب أو بعيد ، وإنما اتخذه تكأة لجلبته اللفظية المستكرهة .

ومن ذلك أيضاً قول بعض الشعراء في النملة :

اقنع بما تلقى بلا بلغة
فليس ينسى ربنا النملة
ان أقبل الدهر فقم قائماً
وان تولى مدبرا نم له

وهو تكلف سخيف ليس وراءه فكرة ولا تجربة ، بل هو صياغة لا تحفل الا بالجناس الذي أولع به الشعراء في هذا العصر الذي أجدبت فيه القرائح وضعفت فيه الملكات .

ويجري هذا المجرى في الحرص على الصنعة اللفظية واتخاذ الحيوان مجرد وسيلة لهذا الغرض قول الامام تاج الدين اليمني في منزل فيه نمل :

ما لي أرى منزل المولى الأديب به
نمل تجمع في أرجائه زمرا
فقال لا تعجبن من نمل منزلنا
فالنمل من شأنها أن تتبع الشعرا

يريد أن سورة النمل تالية لسورة الشعراء في القرآن الكريم .

كذلك اهتم شعراء المماليك بصوغ الألغاز في موضوع الحيوان ، وقد استكثروا من هذا اللون الذي يعد تمريناً للفكر ، لكنه لا يصلح بحال أن يكون شعراً يثير العاطفة أو يحرك الوجدان .

فمن ذلك قول شرف الدولة بن منقذ ملغزاً في الزنبور والنحل :

ومغردين ترنما في مجلس
فنفاهما لأذاهما الأقوام
هذا يجود بما يجود بعكسه
هذا فيحمد ذا وذاك يلام

فليس في هذا اللغز الا المفارقة بين أذى الزنبور ونفع النحل وليس هذا تصويراً شعرياً بل هو نظم يثير الانتباه .

ومثل هذا اللون كثير في شعر هذا العصر .

وهذا يدلنا على موقف شعراء عصر المماليك من موضوع الحيوان ، فلم يكن لديهم ما يقولونه فيه ، أولم يكن عندهم جديد يضيفونه إلى التراث الأدبي السابق ، فوقفوا عند جانب الصنعة وتكلف ألوان البديع ، ويبدو أن موقفهم من الطبيعة الصامتة ، حيث لم يتأثروا بها ولم يتجاوبوا معها ولم يكن لهم منها موقف ابداعي ، فاكتفوا بترديد العبارات المحفوظة ووضعوا أنفسهم في قوالب جامدة قد أثر في موقفهم من الطبيعة الحية المتمثلة في جانب الحيوان ، فلم يتعمقوا النظر فيه ولم ينفذوا إلى المشاعر الانسانية ازاءه .

وظل هذا الموقف من موضوع الحيوان ملتزماً في شعر العصر العثماني ، ولم يتغير إلا في العصر الحديث حين تأثر شوقي بموضوع الحكمة على لسان الحيوان ، فصاغ أشعاره التي تستحق نظراً منفرداً يوضح موقف شوقي في هذا الشعر بين التأثر والتأثير ●

د. مصطفى عبد الواحد — القاهرة

(١٠) حياة الحيوان للدميري ٢/٣٩٣ . (١١) حياة الحيوان ٢/١٤٢ . (١٢) حياة الحيوان ٢/٣٢٤

من حصاد الكتب

ذكرى طه حسين

تأليف: الدكتورة سهير القلماوي — عرض وتعليق: عبدالله عبدالرحمن الجعيثن

لا ينكر احد ما لعميد الأدب العربي ، المرحوم الدكتور طه حسين (١٨٨٩ — ١٩٧٣م) من اثر ظاهر في النهضة الأدبية ، وبالذات في مجال البحث والدراسة الأدبية المنهجية ، سواء أكان الدكتور مصيباً في وسائله ام كان مخطئاً ، وسواء أكان محقاً في أهدافه ام غير محق . كذلك لا ينكر احد ذلك النهج الواضح المتاز الذي اتصف به عميد الأدب العربي في كل ما كتب ، ولا يكاد أحد ينكر ذلك الجمال الذي ظهر في كل مقال املاه العميد ، ولا تلك الموسيقى التي يمتاز بها أسلوبه الفريد ، ولا ذلك الأدب الراقي الصادق ، الذي لا يقصد هدفاً ولا يرمي إلى غرض أكثر من الصدق مع النفس والصدق مع الناس .

وقد أصدرت دار المعارف ضمن سلسلة « اقرأ » كتيباً صغيراً في ذكرى طه حسين الأولى ، وفاء لأول رجل كتب فيها . ووفاء للأديب الأول في دنيا العرب ، وعلى الرغم من قلة صفحات الكتاب فان شيئاً احسن من لا شيء كما يقولون . والوفاء جميل على أي حال . .

ومما أعطى الكتاب قيمة على الرغم من صغر حجمه ان مؤلفته (الدكتورة سهير القلماوي) هي التلميذة الأولى للراحل . ولعلنا نذكر انه قال في كتاب الأيام : ٥٧/٣ وهو يتحدث عن نفسه : « . . ولقد رأى الفتى استاذه « ليتمان » بعد ذلك مرات كثيرة في مواطن مختلفة ، فلم يحس عنده مثل هذه السعادة الا في موطنين اثنين : احدهما في ليدن بهولندا عندما سمع تلميذه الفتى يلقي بحثه في مؤتمر المستشرقين فلم يملك دموعه التي أخذت تفيض على وجهه بين الزملاء ، والآخر في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، عندما شارك تلميذه في امتحان السيدة سهير القلماوي لدرجة الماجستير . وأعلن مفاخراً بعد فوزها بالدرجة انه مغتبط سعيد لأنه يشارك في تخريج هذه الفتاة التي يعدها حفيدته ، لأنها ابنة تلميذه الفتى » .

وكتاب الدكتورة ليس كتاباً تاريخياً دقيقاً . ولا ينتظر منه ذلك ، وليس بترجمة شخصية وافية ، ولا ينتظر منه ذلك . ولكنه مجموعة من الذكريات العذبة الحلوة كانت بين تلميذة واستاذ ، وتبلغ تلك الذكريات أحياناً ان تتطرق إلى مسائل علمية دقيقة ، وتبلغ أحياناً ان تكون مرجعاً تاريخياً لتلك الفترة . ولكنها لا تخرج عن نطاق الذكريات رغم ذلك . .

والدكتورة تروي كثيراً من الأمور العادية . ولكنها لا تكاد تخرج عن دائرة الفن ، فلا بد من لمحة او لمسة تجعل العادي جديراً بالاذاعة والتسجيل . ولعلك تلمس تلك اللمحات الفنية في هذه الأمثلة القصيرة عن أمور عادية .

• قالت تناجي الراحل . ص ١٣ :

« وما زلت أذكر معاملاتك بشأني مع والدتي وكنت تسميها « الدولة العثمانية » لشدتها وتمسكها برأيها وفرض ارادتها على حياتي . . . »

• وقالت ص ١٣ أيضاً :

« قلت لاستاذي أحمد أمين :

— اريد ان ادرس الشعر الصوفي ، وأقارن بين شعر العرب وشعر الفرس في هذا الموضوع . . قال :

— لا ، لا أسمح لك بالتصوف في مثل سنك .

قلت

— اذن أدرس أي موضوع حتى أكبر وأدرس التصوف .

فضحك وقال الجملة التي كان يكررها دائماً مداعباً :

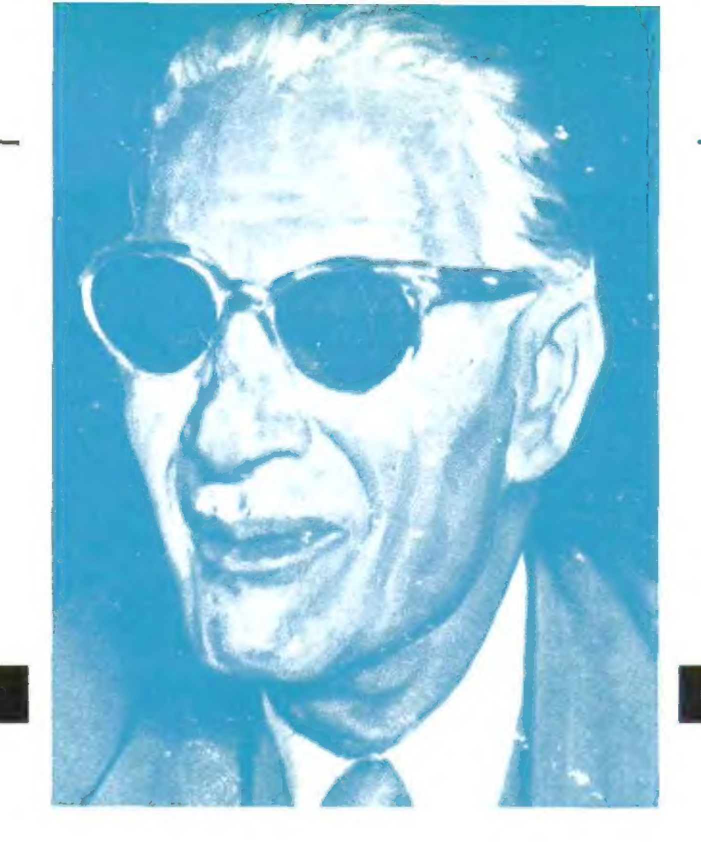
— لا تظني نفسك شيئاً ! « أنت ليمونة في بلد قرفانين » ! !

وقلبنا الموضوعات ، ورسوت على موضوع القصة الشعبية ، وتقابلنا مراراً . وكانت وجهات النظر تختلف وتتسع الهوة بيننا كلما تناقشنا في طريقة البحث ، استاذي موسوعي النزعة ، وأنا أريد ان اتذوق وانفذ إلى اللباب في شيء محدود .

وعرضت المشكلة على استاذي طه حسين . .

قلت له

— ان احمد أمين يريدني ان أبدأ بدراسة القصة عند اليونان والفراعنة !



فقهقه ضاحكاً ضحكته الصافية التي تتفتح لها القلوب ، وقال :

ــ انه يذكرني بمحام في احدى مسرحيات « راسين » بدأ مرافعته من آدم . . ! ! . »

• وقالت في ص ١٧ :

« قال لي (طه حسين) يوماً :

ــ الا تصدرين كتاباً آخر عن ألف ليلة وليلة ؟

ــ لا اريد ان أكون كبعض الزملاء يحملون رسالة الدكتوراه كعربة « الترمس » يسرحون بها عصراً ، ويبيعون للمارة كل يوم حفنة منه . .

سأؤلف كتباً جديدة بعيدة عن ألف ليلة وليلة . . .

فقال :

ــ رجعنا إلى الغرور . . ! لا بأس ، المهم ألا تكفي عن الدرس . »

وحَشْد هذه الذكريات الجميلة كثير . وفي الكتاب حديث عن مؤلف الدكتور « احلام شهرزاد » ثم فيه كلام طويل نسبياً عن ألف ليلة وليلة ، ولا عجب فصلة المؤلفة بالليالي المعروفة ، ثم فيه فصل ممتع عن طه حسين وآفته ، وآخر يعرض عرضاً سريعاً للعميد بين المؤرخ والروائي ، ولكنه على سرعته يتناول كثيراً من القضايا الفنية المهمة ، وتأتي بعد ذلك الخاتمة وكلها مناجاة للفقيد ويتلوها ثبت بمؤلفات الفقيد مرتبة حسب التسلسل الزمني .

وفي الفصل الذي يخص آفة طه حسين تذكر المؤلفة كيف حاول الدكتور ان يتكيف مع تلك الآفة الشنعاء ، وتلاحظ انه يكثر من الكلمات الدالة على الرؤية البصرية ، كما تذكر كيف حببت علته ابا العلاء اليه ، وربطته به ، وساعدته على فهمه أدق الفهم ، ثم تبرهن لك ان جروح علته غائرات في قلبه فلقد كان يشعر في صغره بأنه مجرد « شيء » او مجرد « متاع » ، فأخته تحمله كالشمامة لتدخله مرغماً في البيت . . و « قائده إلى الأزهر يضعه كما يوضع الشيء عند عمود الشيخ استاذه . . » وصديق له سافر معه في القطار ثم اضطر ان يعرض عنه لخوفه « فكان يرمقه بين حين وحين ليأمن عليه من السرقة والضياع » ! وتلك التي تصاحبه في باريس « تعطيه ذراعيها وتمضي معه صامتة كأنما تجر متاعاً لا ينطق ولا يفكر » ! وغير ذلك مما ورد في كتبه حول هذا الأمر . .

وتذكر المؤلفة اثر تلك الآفة على أدب الدكتور ، وفي مقدمة ذلك اعتماده على الصوت مصدراً أساسياً له للتعرف على الشخصية و « لو اننا اصطنعنا في مصر هذا الأسلوب الجديد في الدراسات النقدية وهو استعمال الكمبيوتر في احصاء الألفاظ التي يستعملها الأديب ، ثم فهرسناها قاموسياً (كما فهرسوا خمسة من كبار الكتاب في فرنسا) لوجدنا لفظة « صوت » من أكثر الألفاظ التي يستعملها « طه حسين » كما تقول المؤلفة ص ٨٠ ، ثم تأتي بعدة امثلة لاعتماد الدكتور على الصوت ، وتذكر كيف ساعدته زوجته على التغلب على تلك الآفة نسبياً . ولكنها تقرر بأسى ان تلك الآفة عميقة الغور في قلب الأديب الكبير ، وان جرحها لم يندمل مدى العمر ، وأذكر بالمناسبة ان الدكتور لا يكاد يستعمل في تسمية فاقد البصر الا كلمة « ضرير » وأنت تحس بما فيها من تعبير . واختارت المؤلفة كلاماً للدكتور وصف به أحاسيسه نحو تلك الآفة أدق الوصف ، وفي النص دليل عميق على العذاب الرهيب المستديم الذي كان يعيش فيه .

وبعد : فان هذا الكتاب ممتع حقاً على الرغم من قلة ورقه وكنا نود لو زاد فيه نصيب البحث العميق والدرس الجاد ، فصار في مستوى المؤلَّف والمؤلَّف عنه ، وكنا نود أيضاً لو تركت المؤلفة ميولها ولم تذكر بعض الكلمات العامية على لسان عميد الأدب العربي كما في ص ١٦ و ٥٧ . . فمنذا خدم الفصحى كخدمته ومنذا ذاد عنها كذوده ودفاعه العظيم ؟ ولعلنا في ذكرى الرجل المكافح الناجح ، نهدي إلى الشباب كلمة له رددها كثيراً : « انا لا أحب الطرق القصار ، ولا الأبواب الواسعة بل أحب الطرق الطويلة ، والأبواب الضيقة » (١)

•

عبد الله عبد الرحمن الجعيثن
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ــ الرياض

(١) أنظر كتاب الدكتورة سهير : ص ٧٩ ، وكتاب « مع أبي العلاء في سجنه » للدكتور طه حسين ص ١١

أخبار الكتب

* يحتفل مجمع اللغة العربية بدمشق في عام ١٩٧٦ بمرور مئة عام على ولادة مؤسسه العلامة الكبير الراحل محمد كرد علي وعلى استكمال مجلة المجمع خمسين عاما من عمرها الرخي .

وبهذه المناسبة شرع في اعادة طبع كتب العلامة محمد كرد علي وأبرزها كتاب « خطط الشام » الذي يقع في ستة أجزاء ضخام وفي ختامه ترجمة لحياة المؤلف كتبها بنفسه . وكان العلامة محمد كرد علي قد نقح وراجع هذه الطبعة الجديدة ولكن لم يتح لها الصدور في حياته ، فقامت دار العلم للملايين في بيروت باصدارها في طبعة مجلدة مترفة وقعت في ثلاثة مجلدات كبيرة .

* من المعاجم الجديدة التي صدرت أخيرا « معجم في مصطلحات النحو العربية » انكليزي/عربي ، وعربي/انكليزي في مجلد واحد من تصنيف الدكتور بيير كاكيا المستشرق الذي يدرس الآداب العربية في جامعة ادنبرة والذي نال درجة الدكتوراه عن رسالة وضعها باللغة الانكليزية عن طه حسين وأدبه . وقد نشر هذا المعجم مكتبة لبنان بالاشتراك مع شركة لونغمان للنشر في لندن .

وفي سلسلة المعاجم التكنولوجية التخصصية باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والألمانية التي تصدرها المؤسسة الشعبية للتأليف في لايبزغ بالاشتراك مع مؤسسة الأهرام باشراف المهندس الدكتور أنور محمود عبد الواحد صدر معجمان جديدان أولهما خاص بـ « مصطلحات الحديد والصلب » وقد صنفه المهندسان محمد عبد العزيز خطاب والدكتور أنور محمود عبد الواحد وقدم له المهندس الدكتور حسن مرعي وثانيهما خاص بـ « مصطلحات التكنولوجيا الأساسية » وقد صنفه المهندسون الدكتور حماد يوسف حماد والدكتور محمود فوزي عبد العزيز ومحمد عبد المجيد نصار وقدم له الدكتور مرعي .

ويصدر قريبا عن مكتبة « عالم الكتب » معجم كبير في ٦٠٠ صفحة عن الألفاظ المتداولة في صناعة البترول وعقود الاتفاقيات من تصنيف الأستاذ محمد أسعد نافع باللغتين العربية والانكليزية .

* انتهى العلامة العراقي الكبير الشيخ محمد بهجة الأثري من اعداد معجم كبير حقق فيه جميع المواقع والبلدان الواردة في خريطة الرحالة المشهور الشريف الادريسي ، وهي الخريطة التي سبق له نشرها بالاشتراك مع العلامة الدكتور أحمد سوسة . كما يعد معجما آخر لتاريخ الجغرافيا في القديم والحديث . ويصدر المعجمان في وقت قريب .

* وصدر في دمشق كتاب « المعجم في النحو والصرف » للأستاذ زين العابدين السنوسي .

* ومن كتب المصادر والفهارس التي نشرت أخيرا كتاب كبير في ٥٠٠ صفحة عنوانه « مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي » أعده الأستاذ أيمن فؤاد سيد وطبعه المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة مع مقدمة باللغة الفرنسية ، وكتاب « دليل دور النشر في الوطن العربي » تصنيف الدكتورين السيد صادق أبو النجا وشعبان عبد العزيز خليفة ونشر دار المعارف .

* من كتب التراث التي حققت وصدرت أخيرا كتاب « صفة جزيرة العرب » للحسن بن أحمد يعقوب الهمداني وقد حققه تحقيقا دقيقا القاضي محمد بن علي الأكوع والعلامة الشيخ حمد الجاسر وصدر عن دار اليمامة بالرياض .

ونشر مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الأول من « ديوان الأبيوردي أبي المظفر محمد بن أحمد بن اسحق » من تحقيق الدكتور عمر الأسعد وهو خاص بقسم « العراقيات » والجزء الأول من كتاب « مشكل اعراب القرآن » لمكي بن أبي طالب القيسي وقد حققه الأستاذ ياسين محمد السواس ، و « شعر عمرو معد يكرب الزبيدي » وقد حققه الأستاذ مطاع الطرابيشي . كذلك أصدر المجمع الجزء الثالث من « ديوان ذي الرمة » من تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، وبهذا الجزء تم الديوان بفهارسه فبلغت صفحاته أكثر من ٢٣٠٠ صفحة .

* فرغ العلامة الكبير الأستاذ محمد بهجة الأثري من تحقيق الجزءين الخامس والسادس من « خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الاصبهاني الكاتب . وبصدورهما قريبا يكون المحقق قد أتم اخراج قسم العراق من هذا الكتاب النفيس .

* آخر ما أصدره مجلس الدولة السوري باشراف رئيسه الدكتور عدنان الخطيب قبل تقاعده في أوائل العام الحالي أربعة من نفائس المجموعات في القضاء الاداري ، هي « مجموعة المبادىء القانونية التي قررتها المحكمة الادارية العليا عام ١٩٧٣ » و « مجموعة المبادىء القانونية التي قررتها محكمة القضاء الاداري عام ١٩٦٩ مع تعقيبات المحكمة الادارية العليا عليها » و « مجموعة المبادىء القانونية التي تضمنتها فتاوى الجمعية العمومية للقسم الاستشاري للفتوى والتشريع في عام ١٩٧٢ » و « مجموعة للفتاوى الصادرة عام ١٩٧٣ » وقد قدم لهذه المجموعات جميعا الدكتور الخطيب نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق .

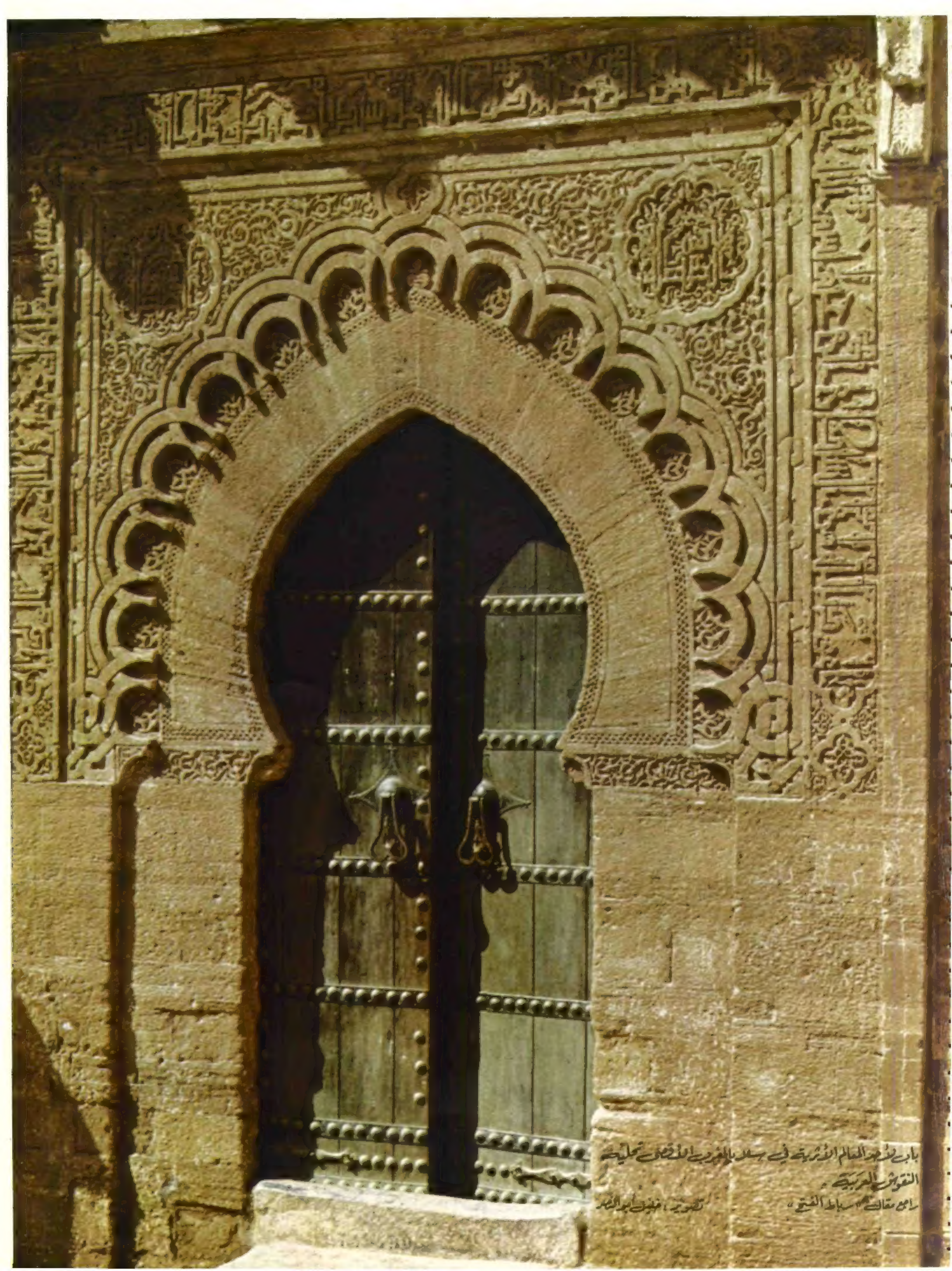
* في السير والتراجم صدرت الكتب التالية : « محمد عبد الوهاب — العقل الحر والقلب السليم » للأستاذ عبد الكريم الخطيب طبع القاهرة ، و « أبو مسلم الخرساني » باللغة الفارسية وقد ترجمه عن كتاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن الباحث الايراني الأستاذ شفيعي كدكني وصدرت منه طبعتان ، وطبعة جديدة من « الشابي شاعر الحب والحياة » للدكتور عمر فروخ طبع بيروت . كما أصدرت مجلة « الفكر » التونسية عدداً خاصا عن الشابي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته ضم فصولا وقصائد شارك فيها الدكتور احسان عباس ، والأساتذة أبو القاسم محمد كرد ، وسلمى الخضراء الجيوسي ، ومحمد مزالي ، ونور الدين صمود ، وعبد العزيز قاسم ، وايليا الحاوي ، وغيرهم من الباحثين .

* أصدر العلامة الأستاذ ظافر القاسمي الجزء الأول من كتاب « نظام الحكم في الشريعة والتاريخ » ونشرته دار النفائس في بيروت . ومن الكتب الدينية الجديدة « الموسوعة في سماحة الاسلام » وهو في الف صفحة من وضع الدكتور محمد الصادق عرجون ، و « بين الوفاء والفداء » للدكتور أحمد الشرباصي ونشر دار الهلال و « محاضرات اسلامية » لامام الأزهر الراحل الشيخ محمد الخضر حسين طبع دمشق ، و « القرآن القانون الالهي » للأستاذ زين العابدين التونسي طبع دمشق ، و « البسملة بين أهل العبارة وأهل الاشارة » للأستاذ ابراهيم البسيوني نشر الهيئة المصرية ، و « قصة كبيرة في السيرة » للأستاذ محمد مهدي عامر نشر الهيئة المصرية .

* من الدراسات الأدبية التي صدرت أخيرا « مصادر عربية لدراسة سيبويه » للدكتور صلاح الدين المنجد نشر دار الكتاب الجديد ، و « الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث » للدكتور رؤوف الواعظ ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و « قضايا ومسائل في الأدب والفن » للأستاذ علي شلش نشر سلسلة كتاب الاذاعة والتلفيزيون ، و « الانتاج الفكري الجزائري في عشر سنوات » للأستاذ محمود بو عياد والأديبة عائشة خمار وطبع الجزائر ، و « الأدب العربي من الانحدار الى الازدهار » للدكتور جودة الركابي نشر دار الفكر و « المطلع التقليدي في القصيدة العربية » للأستاذ عبد النبي البلداوي نشر وزارة الاعلام العراقية ، و « تاريخ المسرح الحديث » للدكتور بدر الدين القاسم طبع دمشق و « أبو حيان التوحيدي في قضايا الانسان واللغة والعلوم » للدكتور محمود ابراهيم نشر الدار المتحدة و « صفحات مجهولة من تاريخ القصة السورية » للأستاذ عادل أبو شنب طبع دمشق .

* صدر عن المكتب الاسلامي في بيروت كتاب « كلمات وأحاديث » لعلامة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار وهو مجموعة محاضرات ودراسات أدبية ودينية .

* طبعة جديدة من كتاب « جغرافية المملكة العربية السعودية » للدكتور محمد طه أبو العلاء صدرت عن دار سجل العرب ●



باب لأحد المعالم الأثرية في سلا بالمغرب الأقصى تحليه النقوش العربية.

راجع مقال «رباط الفتح»

تصوير: خليل أبو النصر



جانب من سور قصبة الوداية الأثرية في مدينة سلا بالمغرب تكتنفه الأشجار والأزهار.

راجع مقال «رباط الفتح»

تصوير : خليل أبو النصر